شخصيات مجمعية

١٠٧٨٥

كلمة الأستاذ زكى المهندس نائب الرئيس

فى حفل استقبال الأعضاء الأربعة الجدد الذى أقيم بدار المجمع بالجيزة صباح الأربعاء ١٧ من أبريل ١٩٧٤

زملائى ، سيداتى ، وسادتى :

إنه ليسر المجمع كل السرور أن يستقبل اليوم أربعة من أعضائه العاملين الجدد ، وهم الأساتذة : الأستاذ على النجدى ناصف والأستاذ محمد شوقى أمين ، والدكتور أحمد عز الدين عبد الله ، والدكتور عثمان أمين .

وقد اختارهم المجمع لعلمهم وكفايتهم وإنتاجهم ، وقد كان المجمع ولا يزال وسيظل دائما مثابة للكفاءات العالية ، وملتقى للثقافات الممتازة ؛ والمجمع إذ يهنئ الزملاء الأربعة بما نالوا من ثقة وتقدير ، ليثق كل الثقة بأنهم سيبذلون كل جهودهم وكل طاقاتهم ، بما آتاهم الله من علم وكفاية : سيبذلون كل هذا فى تحقيق رسالة المجمع ، وإنهم لفاعلون إن شاء الله .

أما الآن أيتها السيدات والسادة فسيتولى استقبال الزملاء الأربعة ، الزميل الدكتور محمد مهدى علام ، وقد كان من المقرر أن يستقبل هؤلاء الزملاء الزميل الأستاذ الجليل عبد الحميد حسن ، ولكنه اعتذر لوعكة أصابته ، فباسم المجمع وباسمكم جميعا نرسل له أخلص تحياتنا ، وأطيب أمانينا له بالشفاء العاجل .

وليتفضل الدكتور محمد مهدى علام مشكوراً بإلقاء كلمة الاستقبال ، وسيحدثكم بعده كل من الزملاء الأربعة بكلمة يتحدث فيها عن سلفه .

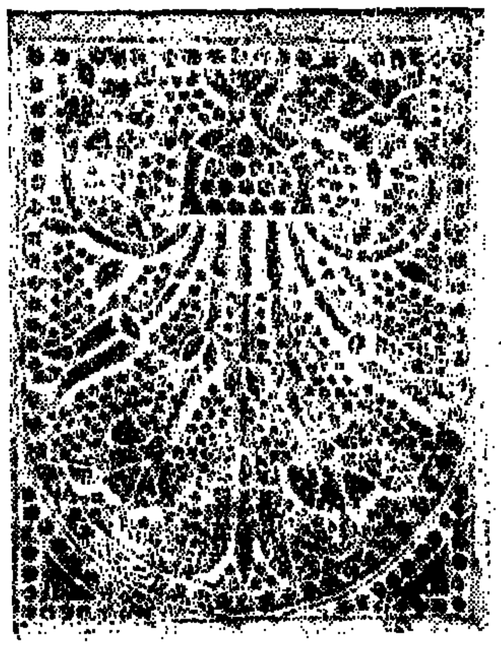

• • كلمة الأستاذ عبد الحميد حسن فى استقبال الأعضاء الأربعة

(ألقاها الدكتور محمد مهدى علام عضو المجمع)

* سيدى الرئيس : باسم المجمع وعن لسان الأستاذ عبد الحميد حسن ، أتشرف باستقبال الزملاء الأربعة : الأساتذة : على النجدى ناصف ، ومحمد شوقى أمين ، وأحمد عز الدين عبد الله ، وعثمان أمين ، وأرحب بهم بيننا فى هذا المجمع الموقر .

* سيدى الرئيس : سادتى أعضاء المجمع ، سيداتى ، سادتى

يسعدنى أن أنوب عن المجمع فى استقبال الأعضاء الأربعة الذين حظى بهم هذا المجمع فى الانتخابات الأخيرة وهم جميعا ممن يستحقون الإكبار والإعظام لما لهم من مكانة مرموقة وآثار لها جليل الشأن .

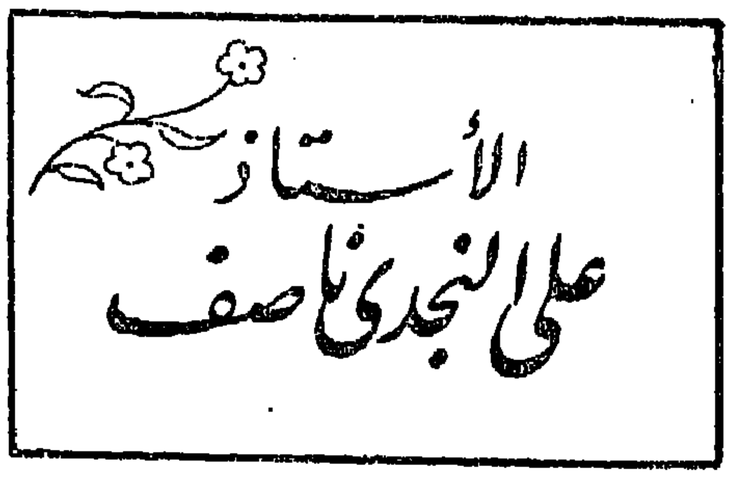

تخرج فى دار العلوم سنة ١٩٢١م واشتغل بالتدريس ثم بالتفتيش فى وزارة المعارف ، ثم اختير مدرسا فى دار العلوم سنة ١٩٤٣ م ، ثم رقى أستاذا مساعدا ثم أستاذا للنحو والصرف والعروض وفى أثناء ذلك أختير وكيلا لكلية دار العلوم . وحين بلغ السن القانونية عين أستاذا غير متفرغ بالكلية ، ولا يزال كذلك إلى الآن .

وأول لقائى بالزميل الكريم كان فى إحدى مدارس المعلمين الأولية ، وكانت هذه المدارس معقد الآمال وموطن الرجاء لتخريج المعلمين الذين يتولون إعداد الجيل الراشد العامل فى ميادين النشاط الحيوى وكان عددها خمسا وعشرين مدرسة منتشرة فى أنحاء القطر المصرى من أسوان إلى شواطئ البحر المتوسط وكان من حظى أول عهدى بالتفتيش ، أو التوجيه كما يسمى الآن ، زيارة هذه المدارس جميعا ، وكان القائمون على أمر التعليم الأولى يختارون لها الأفذاذ من معلمى اللغة العربية وغيرها من المواد .

وفى مدرسة دسوق للمعلمين حظيت بزيارة الأستاذ على النجدى وكان يلقى درسا يعد من أدق الدروس وأدلها على مقدرة المعلم ومهارته فى مادته وطريقته وهو درس التعبير أو الإنشاء الشفهى ،

وكان موضوع الدرس من مشاهدات البيئة المحلية، وهو « دسوق يوم السوق » .

وكان فى أدائه وإلقائه وحواره نموذجا للمعلم القدير والمربى الماهر الذى يتخذ من درسه وما يعالج من حقائق وسيلة لبناء العقول وإنشاء الانفس ، وكان بذلك محققا لقول شاعرنا شوقى :

أرأيت أعظم أو أجل من الذى
يبنى وينشئ أنفساً وعقولا

رأيت كل هذا من الزميل الكريم فامتلأ قلبى وسمعى وبصرى إجلالا له وتقديرا .

ثم مرت الأيام وإذا به يصل إلى الذروة التى كانت مطمح أنظار معلمى اللغة العربية وهى « دار العلوم »ذلكالمعهد الذى كانت تحيا فيه اللغة العربية بفروعها الأدبية واللغوية وما يتصل بذلك من الوان الثقافة الإسلامية .

وقد سار الأستاذ النجدى فى دار العلوم يصحبه التوفيق حتى وصل إلى درجة الأستاذية ، ولم تنحسر عنه هذه الصفة حتى بعد بلوغ سن التقاعد فهو مازال أستاذا غير متفرغ يقوم برسالته على أكمل الوجوه وأتمها .

وكان فى جميع أدوارحياته مثالا للجد والنشاط عاكفا على الدرس والبحث ، ومن آثاره الأدبية واللغوية كتب مؤلفة وأخرى محققة وطائفة من المقالاتوالبحوث

(الكتب المؤلفة)

١ — سيبوية إمام النحاة : ويتضمن مقدمة فى تطور النحو تم دراسة تحليلية ونقدية لكتابه العظيم .

٢ — من قضايا اللغة والنحو : دراسة لجوانب ومشكلات ذات بال ، مثل قوالب التعبير ، والإعراب وعلاقته بالمعنى ، والتأويل والتقدير فى اللغة ، والفصحى والعامية .

٣ — أبو الأسود الدؤلى : وصف لعصره ولحياته ، وبيان لآثاره العلمية والأدبية ، وعرض لأولية النحو بالمناقشة والتحليل .

٤ — الدين والأخلاق فى شعر شوقى دراسة مستفيضه قوامها العرض والتحليل والموازنة والنقد .

٥ — دراسة فى حماسة أبى تمام : تستهل بمقدمة مسهبة عن الاختيار فى الشعر وتطوره مع دراسة نماذج من الحماسيات تقوم على التحليل والموازنة والنقد .

٦ — ابن قيس الرقيات شاعر السياسة والغزل :

ترجمة ودراسه لفنون شعره :

(الكتب المحققه) .

١ — الجزء العشرون من كتاب الأغانى

٢ — الجزء الثالث من لسان العرب

٣ — الحجة فى القراءات السبع للفارسى

٤ — مراجعة تحقيق الجزء الثالث من معانى القرآن للفراء

(المقالات والبحوث) :

وتبلغ نحو خمسين مقالا وبحثا فى اللغة والأدب والنقد ، نشرت فى مجلة مجمع اللغة العربية وفى مجلات وصحف أخرى .

هذا هو الزميل الحديد الأستاذ على النجدى ناصف نرحب به فى مجمعنا الموقر .

الأستاذ محمد شوقي أمين

إن الحديث عن الزميل الكريم محمد شوقى أمين وعن ثقافته وعن معلوماته الشاملة الوافية ، حديث طريف ممتع .فشعاره الذى كان يسعى إلى تحقيقه فى جميع أدوار حياته هو « أن الحكمة ضالة الباحث يلتقطها أنى وجدها » ، وقد عكف على التحصيل يطرق إليه كل باب ، ويتتبع كل مورد عذب فينهل منه مايروى ظمأه واستمر ينقب ويبحث ويختزن فى ذاكرته اللامعة وذهنه الخصب وقريحته الوقادة حتى صار بحراً تتلاطم أمواجه ويحتفظ فى قراره المكين بدرر من طرائف اللغة والأدب وشوارد الحقائق، التى تتطلب بحثا عميقا وتوفرا على الاطلاع .

وقد التحق السيد شوقى أمين فى مبدأ حياته بالقسم الابتدائى بالأزهر ثم انتقل إلى القسم الثانوى بهوكان هذا القسم قدبدأ يسير على النظام الحديث وأدخل فى منهجه العلوم الحديثة مثل الحساب والجبر والهندسة والرسم والطبيعة وغير ذلك من العلوم التى كانت تدرس فى المدارس التابعة لوزارة المعارف . ولكن شوقى أمين كان الميل الذى يتغلغل فى نفسه ويملك عليه حواسه ومشاعره هو دراسةالأدب واللغة فانصرف عن متابعة دروس القسم الثانوى بالأزهر وتابع الخطا للتوفر على ماءيل إليه فكان يذهب إلى دار الكتب المصرية يستعير منها أمهات الكتب ويعكف على دراستها ، وبذلك صقل فكره وأرهف قلمه وبدأ يكتب فى الصحف اليومية فنشرت له صحيفة الأهرام سنة ١٩٣٢ قبل إنشاء مجمع اللغة العربية مقالات متوالية فى التوطئة لإنشاء المجمع ، منها منها مقالات بعنوان « المجمع اللغوى لماذا يراد » وعنوان « المجمع اللغوى كيف يراد» ومنها مقالات « اللغويون قديما وحديثاً » .

ونشرت له المجلات والصحف — كالرسالة والثقافة والأهرام والبلاغ وكوكب الشرق — عشرات المقالات فى اللغة والأدب والنقد وخصصت له مجلة الهلال باشهريا حرره خلال السنوات العشر من سنة ١٩٥٢ إلى سنة ١٩٦١ اشتمل على توجيهات لغوية ونظرات نقدية وتصويبات للألفاظ والتراكيب .

واشترك أيضا فى تحقيق مخطوطة من ديوان «بشار بن برد» خرجت فى ثلاثة أجزاء وبعدها فى جزء رابع فى مستدرك شعر بشار .

هذه إلمامة عن نشأته قبل أن ينضم إلى مجمع اللغة العربية .

أما نشاطه فى مجمع اللغة العربية فقد كان حافلا بالإنتاج الغزير ولا يزال كذلك إلى الآن .

وفى خلال عمله بالمجمع قامت فى سبيله عقبة إزاء وضعه فى المرتب الذى منحه

والدرجة المالية التى تواثم ثقافته وتحصيله ذلك أن القوانين المالية كانت تشترط للتعيين فى أولى الدرجات المالية ثم متابعة الترقى أن يكون الموظف حاصلا على الشهادات الرسمية لكى يتسنى له التمتع بالرقى المالى المتتابع ، وعلاجا لهذا الوضع كتب رئيس مجلس الوزراء إذ ذاك مذكرة عرضها على مجلس الوزراء فى هذا الشأن سنة ١٩٤٦ جاء فيها «إنه على جانب كبير من الثقافة الأدبية واللغوية وله من سعة الاطلاع ما يقوم مقام الشهادات العلمية وقد استطاع أن يقوم بأعمال فنية بكفاية وإخلاص وجدارة وامتياز» .

ولهذه المذكرة قصة طريفة وقد سمعتها من الأستاذ شوقى يرويها من ذاكرته الحيدة الواعية اللامعة ، وهى تنطوى على اهتمام ولاة الأمور المختصين من الوزراء وكبار شيوخ الأزهر وأعضاء هذا المجمع بالزميل شوقى أمين وبإعطائه ما يستحقه .

وللزميل شوقى إلى جانب ذلك نشاط آخر فى جهات ثلاث وهى :

مجمع اللغة العربية ، ولجنة الدراسات الأدبية بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ، ولجنة نشر المؤلفات التيمورية .

١ ــ أما نشاطه فى المجمع فيتجلى فى ناحيتين الأولى : لجنة الأصول ، ومهمتها ، كما جاء فى قانون المجمع ، هى «النظر فى قواعد اللغة وضوابطها لتوسيع أقيستها وتيسير نحوها وصرفها وإملائها ، ودراسة ما ينبغى استعماله أو تجنبه من ألفاظها وتراكيبها» : وللزميل شوقى فى هذه اللجنة نشاط شامل فى جميع ما أصدرته من آراء : وقد كتب مذكرات كثيرة فى مختلف المسائل اللغوية تشهد له بعمق البحث وسعة الاطلاع وهى مدونة فى محاضر هذه اللجنة .

والثانية : اشتراكة مع الزميل الكريم والعالم الجليل والباحث المدقق الأستاذ محمد خلف الله أحمد عضو المجمع فى إعداد الكتابين اللذين أصدرهما المجمع محتويين على القرارات المجمعية من دورته الأولى حتى الدورة الرابعة والثلاثين بعنوان (مجموعة القرارات العلمية) وبعنوان (فى أصول اللغة) وهما سجلان فى المنزلة الأولى دقة وعرضا .

٢ ــ لجنة الدراسات الادبية وقد أختير الزميل شوقى عضوا فيها واشترك فى العمل العظيم الذى وضعت اللجنة خطة لإصداره وهو (سجل الأدباء) الذى يحوى تعريفا بالأدباء والمفكرين فى القرن العشرين بمصر .

ولقد كان الزميل شوقى بذاكرته القوية عونا فى إبداء الرأى فى معظم الأدباء الذين تعرض اللجنة أسماءهم فيذكر المعلومات الدقيقة الوافية التى تدل على اطلاعه الشامل على أدباء الجيل الحديث .

٣ ــ حقق جملة مما أخرجته لجنة نشر المؤلفات التيمورية من مؤلفات العالم الجليل (أحمد تيمور) ومنها : التذكرة التيمورية والسماع

والقياس ، وأسرار العربية ، وأعلام الفكر الإسلامى ، ومحمد صلى الله عليه وسلم .

وإلى جانب هذا النشاط فى هذه النواحى الثلاث قد اختاره معهد البحوث والدراسات العربية بجامعة الدول العربية للاشتراك فى حلقة البحث بقسم الدراسات اللغوية والأدبية واختاره معهد الخدمه الاجتماعية للفتيات لإلقاء محاضرات فى الشريعة الإسلامية وتنسيقها للمجتمع .

واختاره كذلك معهد الإدارة والسكرتارية للفتيات لإلقاء محاضرات فى اللغة العربية .

هذه لمحة عابرة عن الزميل الكريم شوقى وعن نشاطه فى مختلف النواحى ، وإنه لنشاط يدل على علم غزير وأفق واسع واطلاع شامل فى شتى النواحى الأدبية واللغوية والإسلامية وإن انضمامه إلى عضوية مجمع اللغة العربية كسب عظيم ، ونحن نكرر تهنئته ونرحب به ونرجو له تمام التوفيق .

الدكتور احمد عزالدين عبدالله

هذا علم من أعلام القانون وأستاذ من أساتذة الفقه التشريعى ، وإن انضمامه إلى عضوية مجمع اللغة العربية ومشاركته للأعضاء الذين حظى بهم المجمع من قبل ، سيكون قوة لها شأنها فى مجال الدراسات اللغوية القانونية التى يعنى بها المجمع ،وسيكون ذلك عونا على تعريب التعليم القانونى بالجامعات وعلى تأليف المراجع المختلفة فى هذا الميدان باللغة العربية السليمة ،وسينشر كل ذلك فى سائر الدول العربية ويتجه الجميع وجهة موحدة تزيد الوحدة السياسية والاجتماعية قوة وازدهار ونشاطا :

ولد الزميل الكريم الدكتور أحمد عز الدين عبد الله فى الأول من أكتوبر سنة ١٩١٣ م بقرية الرَّيْدمُون من أعمال مركز ملّوى بمحافظة المنيا والتحق بكتّاب القرية فى السادسة من عمره حيث تعلم مبادىء القراءة والكتابة والحساب وحفظ بعض أجزاء من القرآن الكريم ، ثم وفد إلى القاهرة حيث تلقى التعليم الابتدائى والثانوى وحصل على شهادة البكالوريا (الثانوية العامة الآن) سنة ١٩٢٩ والتحق بجامعة القاهرة وحصل منها على شهادات مختلفة ، وصلت قمتها لدرجة الدكتوراه ، وإنه لجدير بالتقدير والإعجاب لما له من شأن فى شتى النواحى القانونية وللمكان المرموق الذى سما إليه عن جدارة واستحقاق :

ويرجع ذلك إلى عوامل خمسة وهى :

١ — الدرجات العلمية التى نالها :

٢ — الوظائف التى شغلها :

٣ — النقابات والهيئات العلمية التى هو عضو فيها :

٤ — التدريس بالجامعات العربية والأجنبية :

٥ — المؤلفات والبحوث العلمية التى كتبها :

١ — أما الدرجات العلمية التى نالها من جامعة القاهرة فأولها الليسانس فى الحقوق سنة ١٩٣٣ ثم دبلوم الدراسة العليا فى القانون الخاص ثم دبلوم الدراسة العليا فى القانون العام ثم يتوج كل ذلك بدرجة الدكتوراه فى القانون وقد كتب المرحوم القانونى الكبير الدكتور عبد الرزاق السنهورى مقدمة لهذه الرسالة أشاد فيها بمقدرة الدكتور عزالدين عبد الله وأثنى عليه الثناء المستطاب ، ومما قاله « إنى أرى الرسالة قد غاصت فى أعماق المسائل التى تعرض لها الكاتب ثم انبسطت على جميع تفصيلاتها فلم تترك شاردة ولا واردة إلا كانت لها سجلا محفوظا . وقد أدهشنى المؤلف بقدرته على تفتيح الآفاق الواسعة للموضوع » ثم قال « إن المؤلف عالج المسائل فى وضعها العملى الصحيح ولم ينفذ إليها عن طريق النظريات

العلمية ، بل من الطريق الذى تبرز فيه أمام القضاء ، ولا أشك فى أن للمؤلف شخصية بارزة فى كتابته تجعل القارىء يشعر بها من أول صفحة فى الرسالة إلى آخر صفحة . . .»

٢ ــ وأما الوظائف التى شغلها فهو الآن أستاذ كرسى القانون الدولى الخاص ورئيس هذا القسم بكلية الحقوق بجامعة عين شمس ، وقد اختير عميدا لكلية الحقوق بجامعة عين شمس سنة ١٩٥٦ وظل عشر سنوات حتى أكتوبر سنة ١٩٦٦ .

وقد اختير أستاذ كرسى القانون الدولى الخاص بكلية الحقوق بجامعة القاهرة حتى سنة ١٩٥٢ ، وكان من قبل مدرسا لقانون المرافعات بكلية الحقوق بجامعة القاهرة حتى سنة ١٩٤٨ ، واختير أيضا محاميا بقسم قضايا البنك العقارى الزراعى المصرى من ديسمبر سنة ١٩٣٣ حتى ديسمبر سنة ١٩٣٨ ، وهو البنك الذى أنشأته الحكومة سنة ١٩٣٢ لتمصير الائتمان العقارى .

وكل هذه وظائف تدل على الكفاية والمقدرة وعرفان ما للزميل الكريم الدكتور عز الدين عبد الله من مكانة مرموقة ومقدرة قانونية شاملة تستحق التقدير . وقد بلغ عدد الخريجين من طلابه مايزيد على عشرين ألفا من رجال القانون الذين يتبوأون مختلف المناصب القانونية والقضائية حتى الدرجات العليا منها . كما جاوز عدد الخريجين خمسة آلاف من طلابه ضباط الشرطة .

٣ ــ وأما النقابات والهيئات العلمية التى هو عضو فيها فله فى هذا المجال نشاط موفور فهو : عضو بالمجلس الأعلى للفنون والآداب والعلوم الاجتماعية من سنة ١٩٦٤

ومقرر لجنة القانون بهذا المجلس منذ ذلك التاريخ .

وعضو بمجلس إدارة الجمعية المصرية للاقتصاد السياسى والإحصاء والتشريع منذ سنة ١٩٦٨ وقد نشر عددا من البحوث بمجلتها العلمية .

وعضو مجلس إدارة الجمعية المصرية للقانون الدولى ونائب رئيس المجلس حتى سنة ١٩٧١ ، وقد نشر عددا من البحوث بمجلتها العلمية .

وعضو جمعية التشريع المقارن بباريس منذ سنة ١٩٦٧

وعضو بنقابة المحامين ، ومحام لدى محكمة النقض من سنة ١٩٥٢

وشارك فى حضور عدد من المؤتمرات والندوات الدولية ، وأخصها مؤتمرات اللجنة القانونية الاستشارية لدول آسيا وأفريقيا التى انعقدت فى القاهرة وكولومبو ورانجون وطوكيو ، حيث كان نائب رئيس وفد مصر فيها من سنة ١٩٥٨ حتى سنة ١٩٦٤ ، وقدم عددا من البحوث العلمية فى مادة القانون الدولى الخاص .

وآخر الهيئات التى اشترك فيها هو مجمعنا هذا الذى اختير فيه خبيرا منذ

سنة ١٩٦٤ حتى اختير عضواً به . والمجمع يفخر بخبرته ، ويتمنى له دوام التوفيق .

٤ — وأما التدريس فى المعاهد العربية والأجنبية فقد جاوزت شهرته العلمية فيه حدود الوطن ، فدعته أكاديمية القانون الدولى الملحقة بمحكمة العدل الدولية بلاهاى لإلقاء محاضرات بها فى القانون الدولى الخاص ، على دارسين من المعيدين والمدرسين بجامعات مختلفى دول العالم ومن رجال السلك الدبلوماسى بها .

كذلك استجاب لدعوة من جامعة الكويت للعمل بها أستاذا زائرا بكلية الحقوق والشريعة للدراسات العليا ، وكان ذلك فى يناير سنة ١٩٧٣ وفى فبراير ومارس سنة ١٩٧٤ .

٥ — وأما المؤلفات والبحوث العلمية فهى إنتاج ضخم حافل يزيد على الأربعين عدا ، ويتسم بالابتكار والتجديد .

ويشمل القانون المدنى وقانون المرافعات والقانون الدولى الخاص ، وهو الفرع من فروع القانون الذى استقر به المطاف على التخصص فيه ، فجاء أكثر بحوثه فى مختلف موضوعاته ، بالإضافة إلى مؤلفه الجامع لكل هذه الموضوعات ، وهو كتاب القانون الدولى الخاص المكون من جزأين يقعان فى نحو ألفى صفحة :

هذه صفحة ناصعة مجيدة من صفحات الجهاد العلمى القانونى ، وهو جهاد يرفع من قدر مصر ورجالها الأفذاذ فى القانون بين أمم العالم ، ويسعد مجمع اللغة العربية أن يسير الزميل الكريم فى مجال الإنتاج والابتكار والتجديد مع زملاء أعزاء ضمهم هذا المجمع من قبل إلى عضويته . فإلى رحاب مجمعنا الموقر نقدمه مرحبين مهنئين .

الدكتور عثمان أمين

هو العالم الجليل والباحث المتعمق الذى ذاع إنتاجه ، فشمل كثيرا من الأقطار شرقا وغربا ، وارتوى منه المتعطشون إلى المناهل الغزيرة الصافية للبحوث الفلسفية.

وقد استطاع الدكتور عثمان أمين الذى يناهز السبعين من عمره المبارك فى خلال أربعين عاما متواصلة ، أن يتدرج من محاضر فمدرس فأستاذ فرئيس لقسم الفلسفة بجامعة القاهرة ، مسهماً فى تخريج أجيال من الفلاسفه والمفكرين الذين يتولون اليوم مراكز قيادية وعلمية مرموقة فى مصر والعالم العربى ، واستطاع بإنتاجه العلمى الغزير والمبتكر ، ما بين تأليف وترجمة وتحقيق ، أن يجتذب انتباه علماء الغرب والشرق على السواء فاعتبر مؤلفه عن « محمد عبده » واحداً من الكتب الخمسة التى ظهرت فى العالم العربى خلال نصف القرن الماضى ، فيترجم إلى اللغة الإنجليزية والفرنسية والأردية والسواحلية ، كما حصل على الجائزة الأولى فى الأدب الفرنسى من جمعية مصر ـ فرنسا عام١٩٥٢ كما أسهم فى تحرير أربعة فصول من دائرة المعارف الإسلامية المطبوعة باللغة الأردية فى لاهور عام١٩٦٠ ، وأسهم فى كتاب « تاريخ الفكر فى الإسلام ، المنشور بالإنجليزية فى هولندا عام ١٩٥٨ وكتاب « الشرق الأوسط المعاصر» المنشور بالإنجليزية فى نيويورك عام ١٩٦٥ :

وقد خصص كتاب « قطوف من الأدب العربى المعاصر » المنشور بالفرنسية بإشراف الأستاذ جاك بيرك بباريس عام ١٩٧٠ فصلا كاملا عن الأستاذ الدكتور عثمان أمين ، وخصص له الدليل الدولى للشخصيات البارزة فى العالم المنشور بلندن عام ١٩٥٥ والمعروف باسم :

(International Who's Who)

مكانا للتعريف بأعمال العلمية .

والدكتور عثمان أمين الذى عمل أستاذاً زائراً بالجامعات العربية فى ليبيا والسودان والجامعات الأمريكية والباكستانية وحاضر فى كل من الجامعات المصرية فى القاهرة والإسكندرية وعين شمس ، ومعهد الدراسات العربية العالية التابع للجامعة العربية ، وفى جامعة الأزهر ، ومعهد الدراسات الإسلامية وغيرها ، قد وسع من دائرة تلاميذه ومريديه وهيأ لفلسفته بالانتشار والذيوع فى أوسع نطاق فى مصر والعالم العربى ، بل فى أمريكا وفرنسا وهولاندا وألمانيا وإنجلترا ، وفى إندونيسيا والهند وباكستان .

وبهذا تخرج على يديه مئات من الحاصلين على درجة الدكتوراه والماجستير وأسهم

فى فحص الإنتاج العلمى وترقية عشرات من الأساتذه السابقين والحاليين فى الفلسفة وعلم الاجتماع :

ومما يجدر التنويه به أن يكتب العلماء والمستشرقون فى أوربا وأمريكا وفى الهند وباكستان وفى سوريا والجزائر عن الأعمال العلمية التى تهض بها الدكتور عثمان أمين .

والإضافات التى حققها للمعرفة وللفكر الفلسفى بصورة تضعه فى المكانة اللائقة به فنرى على سبيل المثال المفكر الفرنسى لوى جارديه يقول فى معرض حديثه عن فيلسوفنا المصرى ما ترجمه عن الفرنسية :

« ومن أكثر المؤلفات الفلسفية اشتهارا ذلك الكتاب الذى نشره الدكتور عثمان أمين باللغة العربية فى القاهرة ١٩٤٤ عن مبادئ فلسفة زينون ، وكذلك الكتاب الآخر عن الفلسفة عند العرب الذى نشر ١٩٤٥ . وهو إلى جانب ذلك واحد من أحسن المتخصصين العرب فى الفلسفة الغربية الحديثة » .

ويذهب ريتشارد فراى الأستاذ بجامعة هارفارد إلى تخصيص جانب كبير من الكتاب الذى نشره ١٩٥٧ لمعرفة البحوث التى ألقيت فى المؤتمر الإسلامى فى هارفارد ١٩٥٥ تحت عنوان الإسلام والغرب ويقول إنه لبحث مبتكر ورائد فى موضوع التجديد فى مصر بقلم الأستاذ الدكتور عثمان أمين حسب قول ريشادر فراى فى تعليقه .

واستطاع صوت الدكتور عثمان أمين وفكره المبتكر أن يرفع رأس العلماء المصريين فى عدد كبير من المؤتمرات والندوات ، وحلقات البحث العلمى فى الخارج .

فمنذ حضوره المؤتمر العالمى للمستشرقين المنعقد فى كمبردج بإنجلترا ١٩٥٤ حتى مؤتمر الفكر الإسلامى فى قسنطينة ووهران بالجزائر عامى ١٩٧٠ ، ١٩٧١ شارك الدكتور عثمان أمين فى اثنى عشر مؤتمراً وحلقة علمية فى كل من هارفارد ١٩٥٥ — جاكارتا ١٩٥٦ ولا هور ١٩٥٧ — فينسيا ١٩٥٨ — دمشق ١٩٦١ — تكساس ١٩٦٥ — وأخيرا قسنطينة ووهران بالجزائر ١٩٧٠ — ١٩٧١ .

وفى جاكارتا بأندونيسيا نشرت أبحاث الأستاذ الدكتور عثمان أمين وترجمت من العربية إلى اللغة الإندونيسية فى أوسع المجلات المتخصصة وفى فينيسيا نشرت أعمال المؤتمر العالمى للفلسفة ١٩٥٨ أبحاث الدكتور عثمان أمين فى مجلد خاص تقديرا له .

وفى ومسقط رأس الفيلسوف ديكارت انتخب الأستاذ الدكتور عثمان أمين عضو شرف بالجمعية الديكارتية الفرنسية وخصص جناح فى مكتبة المؤلفات والبحوث العالمية عن ديكارت لإنتاج الأستاذ الدكتور عثمان أمين تحت اسم «مصر» .

وبهذا استطاع فيلسوفنا المصرى أن يتيح للغرب والشرق فرصة لتذوق الفكر المصرى وأن يدفعها إلى ترجمة إنتاجه من العربية إلى اللغات الأجنبية ، وأن يبتكر مذهباً فكريا وفلسفيا وجماليا فى كتاب «الجوانية» :

أصول عقيدة وفلسفة ثورة »، أظهر فيه أجمل ما فى الفكر الإسلامى وأنقى ما فى الروح العربية وأسمى ما فى الوعى المصرى .

وبعد ، فهذه صفحة ناصعة مشرقة عن أعمال الزميل الكريم الدكتور عثمان أمين وإنا لنرجو له المزيد من التوفيق فى جميع أعماله :

هؤلاء هم الأعضاء الأربعة الذين حظى بهم مجمع اللغة العربية وسيعملون مع باقى الأعضاء على تحقيق رسالة المجمع وهى : المحافظة على سلامة اللغة العربية ، والحرص على وفائها بمطالب العلوم والفنون ، وكذلك توحيد المصطلحات فى اللغة العربية حتى يكون ذلك عونا على وحدة العرب وازدهار حياتهم والنهوض بأمجادهم .

والله نسأل أن يرعانا ويسدد خطانا ويبارك مسعانا ويهدينا سبيل الرشاد .

سيدى الرئيس :

باسم المجمع ، وعن لسان الأستاذ عبد الحميد حسن ، أتشرف باستقبال الزملاء الأربعة : الأساتذة : على النجدى ناصف ، ومحمد شوقى أمين ، وأحمد عز الدين عبد الله ، وعثمان أمين ، وأرحب بهم بيننا فى هذا المجمع الموقر .

والسلام عليكم ورحمة الله

كلمة الأستاذ على النجدى ناصف
فى حفل استقباله عضوا بالمجمع

سيادة الرئيس ، أيها السادة والسيدات :

لم يستهوني الطموح ، ولا استخفني الطمع أن أتبوء مقعدا فى مجمع اللغة العربية ، لا زهادة فيه فهو أمنية لمتمنين كثير ، ولا غفلة عنه فهو ملء السمع والقلب ، ولكن إعظاما له ، وقصورا دونه .

فكان بين المجمعيين أمنية عزيزة ، مطلبها شديد ، ومنالها بعيد ، لا يُلقّاها إلا كاف فيها ، وصالح لها من أصحاب المزية الفائقة ، والشهرة العاملة ، لا تزال ترفع ذكره ، وتردد اسمه فى عالم الآداب أو العلوم ، حتى تشخص إليه الأبصار ، وتشغل به الخواطر ، وتدور من حوله أحاديث .

وما أعلم أنى من المزية الفائقة ، ولا الشهرة العاملة ، ولا أنهما منى فى شىء ، لا أقولها رياء خادعا ، ولا تواضعا كاذبا ، فما بى من حاجة إليهما فى هذا المقام ، ولكنها الحقيقة لا اهتضام لها ، ولا مواربة فيها ، وبين جسامة المطلب ، وقصور الوسيلة يذهب الجهد ضياعا ، والرجاء جفاء .

ومن الحكمة أن يعرف المرء قدره ، ولا يعتدى حده ، إلا مستهترا لا يبالى قالة السوء ، أو خليا يتخذ من المحاولة ملهاة من ملاهيه ، يملأ بها فراغه ، وينفى ملاله ، وليس منها — على كل حال — مضرة تخشى ، ولا فيها محذور يتقى . ومن يدرى لعل الله يحدث من الأمر مالا يقع فى وهم ، ولا يتطاول إليه خيال . وقديما قالت العرب : مع الخواطئ سهم صائب .

وقد خار الله لى — والخير فيما اختار — ألا أكون أحد الرجلين ، بل ألا أكون منهما على شبه قريب أو بعيد .

غير أن لى فيكم أيها السادة المجمعيون صفوة من الخلصان ، وقدامى الزملاء ، وشيوخ الأساتيذ — يحسنون بى الظن ، ويرون فى مالا أرى ، أبت عليهم أريحيتهم ، وصدق مودتهم أن يخلوا بينى وبين نفسى ، أعكف عليها ، وأفرغ لخاصة أمرها ، فتقدموا بى إليكم ، يؤذنونكم بى ، ويستفتحون لى عليكم .

وإن امرأ إلا تسعده أداته ، وترفده روافده لحقيق أن يشق به أعوانه ، وأن تشق عليهم المساعاة له ، لذلك طال على أصحاب الاستفتاح ، ولج بهم الإيذان ،

فما أمسكوا عن المحاولة، ولا أحدثوا برأيهم فى رأيا .

وعهد الناس بصاحب الرأى أن يستريب برأيه ، ويراجع فيه نفسه ، إذا تعدد مخالفوه فيه ، وطال خلافهم له ، ولو كان رأيا عقباه له ، ومآله إليه ، وأكبر الظن أنه إن يفعل فسيبدو له فيه بداء ، فكيف برأى هو فيه صاحب فضل ، وصانع معروف ، وكل ما له من مضائه آخر الأمر هو المشاركة فى نشوة الظفر ، وبلوغ الأرب ؛ فصنع الله لهم ، وبارك عليهم ، وتولى عنى جزاءهم .

ثم يشاء الله أن يبلغ الكتاب أجله بعد لأى وطول ريث ، فتنجح المحاولة ، وتتحقق الأمنية . ولست أدرى أكان ذلك عن رضا واقتناع ، أم عن ضيق بالمعاودة والتكرار ؟ فإن لله جنودا منها مواصلة الطلب فى غير يأس ولا فتور ، ولكنه جند خير وسلام إن شاء الله .

وأيا ما يكن الأمر أيها السادة المجمعيون فلكم منى جزيل الشكر ، سواء منكم من رآنى حقيقا بانتخابه، ومن رأى غيرى أحق به منى ، فقد كان كل فيما رآه إنما يريد إحقاق الحق ، وإقامة الوزن بالقسط على ما يبدو له أنه الرأى الرشيد .

أما أستاذى الجليل عبد الحميد حسن فله أجمل الشكر وأوفاه على كلماته الطيبة التى قدمنى بها إليكم ، ووصفنى فيها لكم بعديد من الأوصاف الفاضلة ؛ حتى خيل إلى أنه يتحدث عن رجل ليسنى ، وهكذا يستهوى الحب الخالص صاحبه ، ويغلبه على أمره ولا يدع له منه إلا المجاملة وإحسان الظن .

والآن ، ماذا أعددت للأمر العظيم الذى حملته منذ اليوم ؟ وهل أرانى قادرا على احتماله ، وإحسان الاضطلاع به ؟ سؤالان أسألهما وأتولى الجواب عنهما ، وعدا لا أخلفه ، وعهدا لا أخيس به ، إن شاء الله تعالى لئلا يمضى الأمر ، بى أو أمضى أنا به على ما خيلت ، لا ضابط هناك ولا منهاج :

لقد أعددت له كل ما تورث السن العالية من تجربة ، وكل ما تذر لصاحبها من صبابة قوة ، على أن أجمع شتاتها ، وأعتصر عودها ، وأنفخ فى رمادها ، ثم أصرف جملة ما يتوافى إلى منها إلى ما عسى أن أشارك به من عمل ، فان أبلغ بذلك مرضاتكم ، وأحسن مشاركتكم ، وإلا فحسبى أنى أبليت عذرا ، وقد قال الأول :

وعلىّ أن أسعى وليس
على إدراك النجـــــاح

هذه سبيلى التى رسمتها ، وأجمعت على التزامها ، مستهديا الله فيها ، ومستعينا به عليها ، إنه نعم الهادى ، ونعم المعين

ويزيدنى التزاما لها ، واستقامة عليها أنى أخلف فيكم المغفور له الأستاذ الكبير

مصطفى القللى ، نضر الله وجهه ، وأجزل فى الأخرين ثوابه، ومن الخير للخلف إذ يكون سلفه أنبه ذكرا، وأرجح ميزانا — أن يحاول ما استطاع أن يأخذ إخذه ، ويجهد أن يكون منه غير بعيد .

لقد كان رحمه الله فى شبابه فتى نجيبا ، مرجو الغد ، وكان فى كهولته علما رفيع القدر ، مرموق المنزلة ، لازمه السداد والتوفيق حياته كلها من لدن شبابه إلى لقاء ربه

فكان ثانى الناجحين فى امتحان الشهادة الثانوية ، وثانى الناجحين من زملائه خريجى مدرسة الحقوق . وكانت له وهو طالب مشاركة مذكورة فى إذكاء الثورة المصرية التى قادها سعد زغلول ، بما قال فيها من شعر ، وما دعا إليه من جهاد .

ولم يلبث بعد تخرجه أن اختير مبعوثا إلى فرنسا ، يطلب الدكتوراه فى العلوم الجنائية ، فظفر بها ، وعاد راشداً محموداً ، ليتولى التدريس فى كلية الحقوق ، وليمضى صعدا فى مراتب الدراسة الجامعية فى كليته، حتى انتخب عميدا لها ، فخرج أجيالا من رجال القانون ، انبثوا فى أقطار الحياة العاملة ، يعلون كلمة الحق ، ويحتمون حمى القانون .

ثم بدا له أن يفرغ لحياة أرحب مجالا ، فتخلى عن العمادة ، وتبدل برداء الجامعة رداء المحاماة ، فكان من أبرع المحامين ، وأشدهم عارضة ، وأفقههم للقانون ، وأخبرهم بأسراره واكتناه المصادر منه والموارد .

واختير مع ذلك لبعض المؤسسات الاقتصادية والمالية ذوات الشأن ، ولهيئات أخرى جايلة القدر ، لبعضها إشرافٌ على التعليم الجامعى ، ولبعضها الآخر نشاط فى عالم الاقتصاد والتشريع فشارك فى كل أولئك بالرأى الحصيف ، والتجربة الصادقة والألمعية المأثورة .

ولم يصرفه العمل فى هذه الجوانب المتعددة من الحياة عن البحث والتأليف ، فأخرج قدرا كبيرا من البحوث والمؤلفات التى تعد بحق من الذخائر العلمية النفيسة التى يرجع إليها ، ويهتدى بها فى شئون الجناية والاقتصاد ، حتى إذا انتخب فى مجمع اللغة العربية أقبل على العمل فى لجنة القانون والاقتصاد ، وشارك فى أعمالها ودراساتها مشاركة تذكر له بالحمد والتقدير ، غير باخل بوقت ولا ضين بجهد

ولم يزل — رحمه الله — مكبا على العمل باذلا فيه من ذات نفسه حتى لقى ربه راضيا مرضيا .

هذه أيها السادة والسيدات وقفة قصيرة على حياة سلفى العظيم ، وهى — كما رأيتم — حياة خصيبة مباركة ، تزخر بالعمل المثمر والجهد المشكور ، لم يتسع المقام للوفاء بحقها ، وتفصيل القول فيها ، فلم يكن إلا أن آخذ فى الحديث عنها مأخذ السرد والإجمال . رحم الله الأستاذ القللى ، وأسبغ عليه من رضوانه كفاء ما أسدى إلى وطنه ولغته من صنيع .

كلمة الأستاذ محمد شوقى أمين
فى حفل استقباله عضواً بالمجمع

حول المجمع وما اليه

سيدى الرئيس النائب، ياشيخ المجمع وفتاه .

سيدى الرئيس المنتخب المزكى .

أيها المجمعيون الأجلاء

مستمعى الفضلاء :

لاعجب فى أن يسترهبنى الكرسى الذى انتخبت له منذ قليل ، ولا عجب فى أن أشعر بالتهيب والتخشع للمنصة التى دعيت إليها الساعة ، وإن كنت قد اختلفت إلى كراسى المجمع ومنصاته عشرات السنين ، أبلوها وتبلونى ، ولا أقول أبليها وتبلينى : لاعجب فى هذا أو ذلك ، فشتان مايومى وأمسى ، كنت بالأمس أكتب ما يقال ، أو أتلوما يكتب ، وربما همست بما يعن لى ، أو شاركت فى نقاش ، أوعرضت ماأعددت من بحث . ولكنى إذا كتبت ما قيل أو تلوته فلصاحبه نسبته ، وليس علىّ تبعته . وإذا أبديت ما يلوح لى من وجهة نظر فلغير مقطع الرأى فيه . أما اليوم وقد أصبحت بحمد الله عضوا ، بعد إذ أمسيت نضوا ، فإن المقام حرى أن يشعرنى بالرهبة غاية الرهبة ، وبالهيبة كل الهيبة . . ما ذلك إلافرط تقدير منى لمهمات المجمع وتبعاته ، وإنها لمهمات دقاق ، وتبعات جسام .

أيها السادة :

يقول التاريخ : إن « ابن جنى » ففيه العربية صحب « أبا على الفارسى » إمامها أربعين سنة وقد صحبت المجمع هذا العدد من السنين وإذا كان فى المجمع علويون فارسيون فلاأناجنى ولا ابن جنى . ولكنى أستطيع أن أجهر — ولا أغلو فى أن أجهر — بأن المجمع الموقر برز على رأس عشرة قرون من عمر العربية أو أكثر ، ليكون ثالثة المدرستين : مدرستى البصرة والكوفة ، وجامعة المذهبين مذهبى السماع والقياس . بل إن هذا المجمع البصرى أو ، مجمع البصريين أو البصارفة بعد بحق أول منظمة علمية فى تاريخ العربية كله تكتسب صفة التحكيم والإفتاء ، ويتجلى عليها طابع التشريع والقضاء .

دخل المجمع فوجه الأول ، وعلى أكتاف أعضائه العشرين هموم اللغة العصرية وأعباؤها ومشكلاتها ، فمنهم من كان يستشعرها ،

ومنهم من كان يحتقب الحلول لها ، ولذلك ولد المجمع عملاقا يعرف ماله وماعليه ، فرفع راية الاجتهاد ، وأعلى سلطان الرأى ، لا يقف عند المقولات ، ولا يجمد إزاء القبليات . ثم تعاقبت على المجمع أعضاؤه زرافات وفرادى ، وكلهم شركاء فى إدراك قضايا اللغة وأدوائها ، مسهمون فيما يقترح لها من حلول وعلاجات .

هنا أذكر من الفرسان الراحلين الأعزاء : السكندرى ووالى ، الجارم والمغربى ، الكرملى ونلينو ، عبد العزيز فهمى ولطفى السيد ، منصور فهمى والرازقيين ، الخولى والنجار ، طه حسين ومحمود تيمور :

أين الذين أذاقونى مودتهم
حتى إذا أيقظونى للهوى رقدوا

أذكر هؤلاء ، ولا يتسع المجال لذكر الجميع ، وهم زيد على مائة ، وإن كنت لا أنسى منهم أحدا ، فأصواتهم تملأ مسمعى ، وذكراهم تعمر وجدانى :

وقال تذكر هذا بعد فرقتنا
فقلت ما كنت أنساه لأذكره

لم يبدأ المجمعيون الأصلاء من فراغ ، بل سبقت مجمعيتهم منذ بواكير النهضة العربية بحوث ودراسات ، وتقدمتهم هتافات ونداءات ، ولكن الجهود التى كانت تبذل إنما كانت أشبه شىء بالبروق المتناثرة ، فكان لمجمع هو البلورة التى جمعت الشتات ، وانتظمت الإشعاعات ، وجعلت منها طاقة فعالة تبعث الحياة فى الموات :

ومن سنة الحياة الاجتماعية ، إذا أريد لمقومات الإصلاح نصيب من النجاح ، أن يكون الإرهاص قبل الإيجاب ، والنزوع قبل التشريع :

إنما تنجع المقالة فى المرء
إذا صادفت هوى فى الفؤاد

فلا غرو أن يرحب أهل العربية بما شرع فيه المجمع من تطويع اللغة لحاجات الحياة ، وتطويرها للوفاء بمطالب الحضارة ، إذ صادف ذلك منهم نزوعا عميقا حقا إلى هذا التطويع الحتمى ، والتطوير الرشيد .

آمن المجمعيون الأصلاء بأن اللغة لأهلها ملك مطلق ، فهى أداة تعبر عن أغراضهم العلمية والأدبية والمعيشية ، وعليهم أن يحتكموا إلى أذواق الفاقهين لأوضاعها ، والمتمرسين بها ، لمواجهة أهداف التعبير الحضارى فى إبانة وإفصاح .

على أن المجمع كان حكيما إزاء ما استقرت عليه قواعد العربية التى أرساها النحاة واللغويون ، فلم يتمرد على أصل ينعقد ، وقياس يعتمد ، وحكم يتردد . ولكنه رأى أن الذين قعدوا القواعد وضبطوا الأقيسة ، إنما أرادوا تسجيل المأثور وتحليله ، واستخلاص الواقع وتعليله ، فمن الصيغ ما جاء على مثاله الكثير أو القليل ، ومنها ما لم يسمع منه إلا

النادر أو الشاذ . وما أحسب النحاة واللغويين قصدوا إعقام اللغة والحجر عليها ، لايكثر قليلها ، ولا ينمو النادر أو الشاذ فيها ، فما ذلك من شأن لغوى ولا نحوى . ذلك إلى أهل اللغة يتصرفون فى صيغها وأوضاعها على هدى أذواق الصفوة من علمائها وأدبائها وكتابها ، يبيحون أو يترخصون ، بحسب مقتضيات التعبير عن أسباب الحياة التى يعيشون ، ولو تصورنا أن العربية مضت على صفائها وخلوصها بين أهليها الفصحاء . تساير الزمن فى تقدمه وتطور حضاراته ، لجاز لنا أن نتصور ما عسى أن يحدث من تطور فى القواعد والأحكام ، ولساغ لنا أن نتمثل اللغة وقد جل فيها ماقل ، وغزر ما ندر ، وبذ ما شذ. ولقد سعدنا فى حاضرنا بعصر للعربية مزدهر ، تألق فيه أدباء أبيناء ، وكتاب بلغاء ، وتوفر على درس العربية أساتذة جهابذة ، وبصارفة صيارفة ، اختمرت فيهم خبرة ودربة ، ورهف منهم حس وذوق . فمن حق هؤلاء الصفوة أن يعالجوا قضايا التعبير بما يستخلصون من دراساتهم ، وما تطمئن به أذواقهم ، وما تنادى به مقاصد الحياة فى عصرهم . ومن حقهم أن يبحثوا بين آراء الأئمة البصريين أو الكوفيين عما يطاوع حاجة التيسير ، فإن لم يجدوا فى هذه الآراء البصرية أو الكوفية ما يسد الحاجة ، رجعوا إلى نصوص اللغة نفسها ، يستعينونها ، قائلين للبصرة والكوفة معا :

أيا جبلى نعمان بالله خليا
نسيم الصبا يخلص إلىّ نسيمها

وفى معتقدى أن فى الأقضية النحوية والصرفية المعتمدة ما يمكن تعديله باستئناف البحث فى السنّة اللغوية الخالصة ، بمنأى عن المذاهب النحوية المتعددة ، فنعمد إلى نصوص الأدب نتقراها ، وإلى بطون المعجمات نتقصاها .

لقد استطاع المجمع فى تؤدة وأناة أن ينتهى إلى عشرات القرارات الميسرة لمقاييس اللغة وأوضاعها ، وإذا كان صنيعه فيما يتعلق بالمصطلحات عرضة للتغيير والتبديل ، بين لفظ يبيد، ولفظ يزيد، فإن قراراته الميسرة للمقاييس والأوضاع مما ينتظر له اطراد النمو والاتساع ، دون رجوع إلى وراء . فلا مجال بعد اليوم لقائل أن يلزم برد الجمع إلى مفرده عند النسب ، ليقال حركة عاملية ، بدل عمالية ، أو يقال : العيد الخمسى ، بدل العيد الخمسينى ، ولا أن يلزم بأن نقول فى النسب إلى غريزة : غرزى ، بدل غريزى ، ولا أن يحكم بالتخطئة على من يقول : سندات فى جمع سند، وبويضة فى تصغير بيضة، أو حمراوات فى جمع حمراء، أو مصر فخورة بأبطالها، وكان العبور مجداً من أمجادها ، ملزما بأن يقال : أسناد ، وبييضة، وحمر ، وفخور ، ومجود، خضوعا لما يريده القاعديون المتزمتون .

ولئن طاب لى أن أشيد بجهود المجمع فى تيسير قواعد العربية ، إنى لحريص على أن أصارح بما أشعر به من أسف ، مبعثه

أن اللغة بأقيستها التقليدية مازالت هى مادة التعليم فى البيئات المدرسية ، وهى مادة البحث فى البيئات الجامعية على السواء . ففى كتب التعليم لهذا العام ما برح جمع التكسير سماعيا فى أكثر صوره ، وكذلك صيغ المبالغة ، واسم الآلة لا يصاغ إلا من الثلاثى المتعـدى ، والنسب بالألف والنون من الشذوذ ، واسم التفضيل له شروطه الثقال ، وتعريف العدد المضاف يمتنع معه أن يقال مثلا : الألف كتاب. وليس ما أسلفت إلا أمثلة دون حصر . وأما الدراسات الجامعية فلا علم لى بأن مناهج المجمع التجديدية فى قضايا اللغة وأوضاعها محل نظر خاص . وفى الجامعات من يتخرجون من بعد ليعلموا العربية فى المدارس ، فإذا لم يكن لهم عهد بما صنع المجمع فستبقى الأوضاع والأحكام التقليدية ضربة لازب على المعلمين والمتعلمين إلى ما شاء الله . ومن حق المجمع أن يكون له فى كليات الدراسات العربية فى الجامعات كرسى ، فإن للأعلام الجامعيين فى المجمع كراسى ، ومن الغبن ألا يكون لجهودهم المجمعية صدى فى جامعاتهم المتعددة . ولقد أذكر أن الدولة العثمانية فى القرن الماضى عمدت إلى تقنين الشريعة ، وسمت ما عملته « المجلة » ، فكانت المجلة تدرس فى عدد من البلاد العربية بمعاهد الحقوق ، والمجمع اليوم يقنن اللغة تقنينا جديدا ، فلزام أن تدرس فى كليات الدراسات العربية جميعا قراراته ونتائج أعماله التى تناظر تلك المجلة على عهد خلافة آل عثمان .

أيها السادة :

ما أكثر الذين يخطبون ود العربية بحثا ودرسا ، وما أقل الذين تواتيهم العربية بمكنونها ذوقا وحسا . ولقد كان من حسنات « الأزهر » فى المجمع رجل من أولئكم الأقلين الذين حلت العربية من قلوبهم فى الشغاف ، فباحت لهم بأسرارها ، وألقت إليهم قيادها ، ونفخت فيهم من روحها ، ذلكم هو الشيخ « محيي الدين » ، محيي العلم واللغة والأدب. أول ما بدا من أمر الشيخ ميله الأدبى . فقد جرى قلمه فى سن الصبا والصبوة بكتاب سماه « ثورة العواطف » وتلاه كتابه فى شرح مقامات البديع . ثم استغرقته الدراسات المتنوعة فى علوم العربية بعامة ، وفى النحو بخاصة ولكنه مع ذلك عنى باخراج العدد الجم من الذخائر الأدبية مضبوطة محققة ، فهو إذن أديب نحا ، أو هو نحوى أدُب ، والأزهرى لا مخلص له من جاذبية الأدب وسحر البيان ، فهو يدامج مؤلفات القدامى من فحول البلاغة ونبغاء الكلام ، وهو فى درسه للنحو يقف على الشاهد بعد الشاهد من القريض ، ووراء البيت المستشهد به قصيدته ، ووراء القصيدة قصة الشاعر وحياته ، فإذا صادف ذلك عند الدارس تهيؤ نفس ، وتوقد قريحة ، ورقة عاطفة ، فليس ثمة إلا افتتانه بالأدب وولعه بالمنظوم والمنثور ، وما هى إلا أن

ينبض فى يده القلم ، وتختلج شفتاه من الشعر بالتغم :

جمع الشيخ «محيي الدين» بين الحسنيين : الدراية والرواية ، وأوتى الموهبتين : التحصيل والاستخلاص ، ومازج بين نزعتين : الاتباع والإيداع . وكان إيداعه ثمرة اتباعه ، فهو وليد موازنة ومقابلة ، ومظهر اجتهاد وترجيح . وكان إذا عرض لمسألة قررها فى شمول وعمق، وسعة أفق ، يلم شواردها ، ويتكلم عليها من مختلف جهاتها ، مستعينا بتنوع معارفه فى فقه أو أصول ، وفى بلاغة أو أدب ، ملائما بين تحقيق من سلف وتعليق من خلف ، واضح الشخصية ، مستقلا بالرأى ، نزيها فيما يعرض من قول معارض أو مناقض : ولقد أفاده اطلاعه على كنوز الأدب رحابة النظر فيما قرره علماء العربية من ضوابط وشرائط ، ومن ثم كان فى إفتائه النحوى واللغوى صاحب مرونة وطواعية وليان: ويحسبى أن أشير إلى ما جمع من شواهد على جواز تثنية الفعل وجمعه فى بحث مجمعى :

لم يكن الشيخ من « أقماع القول » على حد تعبير الحديث النبوى ، وهم الذين تشبه آذانهم الأقماع تفرغ فيها الأقاويل إفراغ المائعات ، فهم يتلقون المقولات بآذانهم ، ثم يلفظونها بألسنتهم ، لا يعملون فيها فكرا ولا نظرا ، إذا قرأت له بحثا فى مسألة راعك منه قلم ناشط ، يحرر فى شجاعة علم ، وحرية ذهن ، لايكاد يستند إلى نقل إلا عند الاستئناس بمن وافق ، أو النص على من خالف . فإن رايك من أمره ريب ، وراجعت المصادر تحاكمه إليها، ألفيت الشيخ قد جمع فأوعى، استوعب الأصول والفروع ، ينفى منها ما ينفى ، ويثبت ما يثبت ، فى إنعام نظر ، وتوهج ذكاء ، وسلامة حكم .

وذانكم مثلان : كتابه فى تصريف الأفعال، وبحثه المجمعى فى أفعل التفضيل .

ولست آسى على شىء قدر ماآسى على أن الشيخ قد شغله التحقيق عن الإنشاء: فإنه فيما طبع علا ه من خلال البريطلابه ، وفيما آمن به من حقهم عليه ، آثر فى الأغلب أن يصرف همته إلى كتب الأقدمين المفروضة على الطلاب ، تقرب مناهلها ، ويحل طلاسمها :

ولو أنه تجرد ليكتب النحو بقلمه إنشاء: لأمتعنا بعرض جامع مانع ، لايغوص منه الدارس فى دوامة من فتقلات ومحاورات، بين محترزات ومعترضات ، . .ولأظفرنا ذلك منه بالنحو الصافى أو الشافى أو الكافى ، كما أظفرنا الأستاذ «عباس حسن »بنحوه الوافى .

أيها السادة :

عرفت شيخى « محيي الدين » سنة ١٩٢٩ أستاذا لى ، وأنا فى مقتبل تعليمى الثانوى منذ خمس وأربعين سنة . دخل حجرة الدرس : وعمره يومئذ جديد ، وعليه أغصان الشباب

ثميد ، فإذا هو يتضوأ باسم المحيا متخطرابين مقاعد الطلاب ، وإذا هو يلقى درس النحو لاينظر فى كتاب ، ولا يتلجلج فى جواب . وكنت قرأت له كتابيه « ثورة العواطف » « وشرح المقامات » ، فقلت لصاحبي : ظننت الشيخ أديبا أعمق منه نحويا ، فإذا هو هو ، أو فإذا هو إياه . فقال لى صاحبي : مارأيت نحويا أوضح فى عباراته النحو منه فى عبارة الشيخ . على أن الدهر مالبث أن ضرب بينى وبين « الأزهر » ، فلم ألق شيخى إلا فى المجمع يوم دخله عضوا منذ سنوات قلال ، وكأننا لم نفترق يوما ، فبادرت إليه أنشده بيت « شوقى » :

قد يهون العمر إلا ساعة
وتهون الأرض إلا موضعا

وقلت له : قد ينسى المرء أساتذته إلا أستاذا ، وكنته ! فأجابنى على سبيل المحاملة والمقابلة : وقد ينسى الأستاذ تلامذته إلا تلميذا ، وأنته ! . . وظللنا نتلاقى فى المجمع ، ونتطارح الرأى والبحث فى أعمال لجنة الأصول ولجنة الألفاظ والأساليب ، أتنسم منه حياطة أستاذ ، ورعاية والد ، ومودة صديق ، وهو على التعهد به : عطر النفس ، شفاف الروح ، لاينفك عن ظرف ومعسول دعابة ، يأنس بى منازعا أنسه بى متابعا ، وماعتم أن عجل به قضاء الله ، فعزت فجيعتى فيه على العزاء ، ولم يكن يدور لى فى خلد ما هيأه القدر من بعد ، إذ حللت منه فى المجمع المحل ، وما يكون لمثلى أن يسد مسده أو يكاد ، فهيهات أن أبلغ شأوه أو أقارب : رضى الله عنه ، بما أفاد بعلمه ، وبما زكى عن علمه بخلقه :

إنا إلى الله راجعون لقد
أصبح حزنى عليه ألوانا

حزن اشتياق وحزن مرزئة
إذا انقضى عاد كالذى كانا

وياسحائب رحمة الله :

أم الضريح الذى أسمى
ثم استهلى على الضريح

أيها السادة :

إن الوقت المقسوم لكلمتى يتطاير منى كما يتطاير العطر من قنينة مفتوحة . وإن كانت فيه بقية ، ففى النفس بقايا . ولا أملك إلا أن أختطف القول اختطافا فى شئون وشجون :

أولا — بودى أن أقول للمجمع إنك وقفت ببابك موضوع الأعلام ، فلم تجز بعد أن يقال مثلا : محمد على حسن ، موقوفة كلماته ، غير ملحق بها كلمة « ابن » . فحتى متى تظل أسماؤنا لاتكتسب وصف الشرعية اللغوية الفصحى ، وحتى متى نظل بأسمائنا مواليد غير شرعيين فى النسب اللغوى الصريح . وفى اللغة منادح للإجازة ، إما على أن الوقف جائز مطلقا فى لغة تميم ، وإما على أن الوصل هنا بنية الوقف ، أو على إعطائه حكمه ، أو على إجرائه مجراه ، بحسب اختلاف تعبير النحاة : والحق أن الأسماء الآن

ليس من غرضها التنسيب الذى يتوضح بذكر كلمة « ابن » وإنما يسمى المرء باسمه المؤلف من كلمتين أو ثلاث أو أكثر ، ولو نقص الاسم كلمة لما تعرف . وعندى — إن كان لى « عند » — أن الذين ينتظرون الرجوع إلى نسق الأعلام على الوضع المأثور سيبلغون مناهم إذا شاب الغراب ، أو إذا القارظ العنزى آب .

ثانيا — بودى أن أقول للمجمع إنك وقفت ببابك الألف اللينة ، لاتبت فيها برأى يرفع الحرج ، وهو كتابتها ألفا بإطلاق . ولو فعلت لسايرت بذلك رأيا لأئمة فى العربية أثبات ثقات . وأما الاعتراض على ذلك بأن كتابتها ألفا أو ياء ملحوظ فيه مراعاة الأصل النحوى . فمردود عليه بأن الخط لايجيب عن أسئلة تتعلق بأينية لكلام .

وثالثا — بودى أن أقول للمجمع إنك وقفت ببابك أختنا اللطيفة « حواء » ، يطرق لها الباب طارق بعد طارق ، ومازلت عنها عازبا لم تأذن لها بعد ، وأمام عينى طيف الشيخ « السكندرى » فى الدورة الأولى للمجمع ، قبل أربعين عاما ، يطالب بالنظر فى إشراك النساء فى أعمال المجمع فى كراسى الأعضاء المراسلين ، إذ كانت كراسى الأعضاء العاملين مشغولة جميعا . وقد اشترك فى مناقشة هذه المطالبة عدد من أعضاء المجمع يومئذ .

ولا نزاع فى أن المرأة قد أسهمت فى وجوه النشاط العلمى والأدبى بقدر ملحوظ ، ولاتعيا بأن يكون لها فى النشاط الجمعى أثر محمود .

ورابعا — بودى أن أقول للمجمع إن المعجمات العربية حتى اليوم مقصورة على مأثور اللغة ، يضاف إليه مايتخطف من المحدث ، وأما لغة الحضارة العربية والإسلامية على مدى عشرة قرون أو نحوها فلا وجود لأكثرها فى معجم مستقل ، أو فى المعجمات على تعددها : ماقدم منها وما حدث . وهى مهمة خطيرة جديرة أن يوليها اتحاد المجامع اللغوية وجامعة الدول العربية مايجب لها من مؤازرة لإنجازها . وليت الذين يتزاحمون لإخراج معجمات متشابهة متناظرة يدلون بدلوهم فى هذا العمل الإنشائى الضرورى . فلا جديد فى تأليف تلك المعجمات المتنافسة . إلا ظاهرة العدول عن الترتيب الاشتقاقى إلى الترتيب اللفظى . وكنت مع المعاصرين أحسب أن ذلك لم يخطر ببال الأقدمين ، ولعلى الآن أسبق من ينبه إلى أن هذا الترتيب اللفظى حاوله مؤلف مصرى فى القرن الثامن الهجرى ، قبل ستمائة سنة ، ذلك هو المقرى « الفيومى » ، فوضع معجما قسم فيه كل حرف باعتبار اللفظ إلى أسماء وإلى أفعال ، ثم رأى أن ذلك يجر إلى ملل ، ينطوى على خلل ، فلم يرض به ، وعدل عنه .

وخامساً — بودى أن أقول للمجمع إن التراث اللغوى الذى تتجه همم المحققين إلى نشره ، فيه حظر لما هو مباح ، وتقييد لما هو مطلق ، وفيه أحكام مردودة مستدرك عليها. فإذا وقف التحقيق عند تحرير النص كان هذا التراث مثار بلبلة واضطراب فى التخطئة والتصويب ، وكان إثمه أكبر من نفعه . وإذا توخى المحقق أن يستوثق ، فيعقب على النص بما يضع الأمر فى نصابه ، خرج من نطاق النشر إلى نطاق البحث والتأليف ، وألزم نفسه كلفة ليس النهوض بها بالأمر اليسير ، وأوغل فى طريق لا يؤمن فيه العثار. وما أوجب أن يخضع نشر هذا التراث اللغوى لمقاييس تترسم خطين متلازمين : تحقيق الإفادة به ، وتلافى الضرر منه .

وسادسا — بودى أن أقول للمجمع إن الحروف العربية متشاكلة بصورها ونقاطها ، وليس يغنى تيسير حروف الطباعة عن تيسير الكتابة . والواقع أن تشابه الحروف وتداخل النقاط كان محل الشكوى منذ العصور الأولى. وفيما يقال إن الفيلسوف « ابن رشد » كتب يقول : « رأيت الزرافة عند ملك البرين » فحدث التصحيف فى كلمة « البرين » فصارت « البربر » ، وكان هذا التصحيف سببا فى محاكمة « ابن رشد » ونكبته .

وأذكر أنى منذ قريب كنت أراجع جملة من كتب أسماء الصحابة ، فإذا هى متنازعة — أيّما تنازع — فى الكثير منهم ، حتى بلغت المنازعات فى اسم أحدهم ثمانية عشر قولا ، وذلك بسبب التباس الحروف واختلاط النقاط . وستظل الكتابة العربية مستهدفة للتصحيف والتحريف ما بقيت مشكلة النقط وتشابه الحروف دون علاج.

أيها السادة :

صح تقديرى ، وأنا أكتب هذه الكلمة ، أن أستاذنا « عبد الحميد حسن » سيستقبانى باسم المجمع بما هو أهله ، لا بما أنا أهل له . وقد عهدته مجاملا محاسنا بحق وصدق وإخلاص. ولا شك فى أنه فَرِحٌ بى فرح الوالد بأحدث أولاده ، حفىّ لى حفاوة الأستاذ بأصغر تلاميذه ، وأنه ناسج لى بحسن ظنه وبراعة فنه ثوبا موشيّا وإن كان فضفاضا أخب فيه وأكاد أتعثر : ثم هو ساع بذمة المجمع ، حمل عنه أمانة الدفاع عن اختياره إياى ، ولا يعيا أستاذنا بالاضطلاع بالأمانة ، فى حذق وكياسة. أما السادة الأعضاء الأكارم الذين منحونى أصواتهم ، وعبروا بى — وهم فى أوان العبور — إلى مكانتهم ، فقد أرادوا هذه المرة أن يقيموا معيارا للاختيار ، غير معايير الكفاية والاقتدار ، ذلك هو معيار البريمن قضى فى مجمعهم زهرة عمره ، وفسحة دهره ، فلم يجدوا بأسا فى أن يفسحوا فيما شغر من كراسى المجمع لمن كان بهم ، وكان لهم ، ليكون منهم بينهم . وإنى متجه إليهم من صميم قلبى بتحية عرفان وشكران ، جزاهم الله جزاء الإحسان .

كلمة الأستاذ الدكتور أحمد عز الدين عبد الله
فى حفل استقباله عضوا بالمجمع

السيد الرئيس

السادة الأعضاء

إنه ليشرفنى أن أقف متحدثا أمام هيئتكم الموقرة ، التى تستمد قدرها من الهدف الجُلال الذى تتغياه ، ومن الجسم أعضائها القمم من أهل العلم والفكر الحر ، يشرف بكل منهم ماضيـــه ، ويزهو به حاضره ويترقبه مستقبله .

وإنه ليزيدنى شرفا أن تخطبنى هذه الهيئة الكريمة لأكون عضواً بين أعضائها .

ولقد حق على أن أشكر لها هذا الصنيع وإذا كانت كلمة الشكر مجرد تعبير فى صورة سلبية عن العرفان بمـــا قدمتموه إلى ، فإن الصورة الإيجابية منه تقتضى العمل الدؤوب والمعاونة الصادقة فى نشاط المجمع مما أعاهدكم عليه فى عزم وإصرار .

كذلك فإن كلمة الشكر تضيق عن إيفاء الأستاذ عبد الحميد حسن حقه لقاء ما تلقانى به فى كلمته ، التى القاها مشكورا الصديق الدكتور مهدى علام ، عارضا ما سلف من حياتى العاملة والعلمية ؛ ومسبغا على ما شاءه من عبارات التقدير .

وإذا سمح لى أن أعقب على هذه الكلمة لقلت إنى لا أزال طالب معرفه . وإنى لواجد فى مصاحبة هذه الصفوة من العلماء طريقا ، للمنهل العذب فى مختلف فروع المعرفة .

سادتى :

لقد تفضل المجمع باختيارى عضواً به فى المكان الذى خلا بوفاة العالم اللغوى الجليل المرحوم الأستاذ على السيد الجندى .

وإذا كان قرار المجمع قد أحلنى مكانه فإن خلافته فى مكانته أمر يشق على من يخلفه .

ولست أقف اليوم معرفا بسلفى العظيم فقد اتخذ مقامه فى موضع الإشعاع من ميادين العلم والمعرفة . لقد عرفتموه معرفة راسية الأسس قبل أن دعوتموه إلى عضوية المجمع واستعرضتم حياته العاملة والعلمية حينما استقبلتموه ؛ وزادت معرفتكم به وثوقا حين زاملتموه عضوا مفيداً مخلصاً ، أسهم فى عملكم بقدر ما سمحت به البقية من عمره

وإذا كنا الآن فى موقف الذكرى من فقيدنا العزيز ، فإننى أجمل تاريخه فيما يسمح به الوقت من كلمات :

حياة مليئة بالعمل العلمى الجاد المجدد فى مراحلها كافة : فى مرحلة التعليم العام، وفى مرحلة الأستاذية بكلية دار العلوم . أبكر بالنتاج البكر ، واستمر طوال حياته نتوجا فى علوم البلاغة ، حيث تجلت مواهبه فى أقوى مظاهرها وأجمل صورها .

وبجانب ذلك كان فقيدنا أديبا شاعراً جاوزت قصائد منظوماته الألف ؛ وأربت عيون أبياتها على عشرة آلاف .

أذكر مما أخرجه من كتب فى البلاغة والأدب والنقد :

(١) فن الاسجاع .

(٢) فن الجناس .

(٣) فن التشبيه .

(٤) البلاغة الغنية .

(٥) سياسة النساء .

(٦) الشعراء وإنشاد الشعر .

(٧) خمسه أيام فى دمشق .

(٨) الشذا المؤنس فى الورد والنرجس

(٩) نفح الأزهار فى مولد المختار .

(١٠) الشاعر المؤمن الصوفى .

(١١) قرة العين ، فى رمضان والعيدين.

(١٢) سيف الله خالد .

(١٣) الجن بين الحقائق والأساطير .

ومن مؤلفاته بالاشتراك :

(١) أطوار الثقافة والفكر .

(٢) سجع الحمام فى حكم الإمام .

* وأذكر من مؤلفاته الشعرية :

(١) ديوان أغاريد السحر . وقد نال الجائزة الأولى من المجمع سنة ١٩٤٨ ، وأبياته نحو ٢٦٠٠ بيت .

(٢) الحان الأصيل ، فى نحو ٤٥٠٠ بيت.

(٣) ترانيم الليل ، فى نحو ٣٥٠٠ بيت.

وهذه الذكرى العاطرة للأستاذ على الجندى العالم الأديب الشاعر ، تصحبها ذكراه الطيبة فى عمادة كلية دار العلوم : فقد اتسم فيها باليقظة والحكمة وحسن التقدير وسلامة التصرف ، فاتفرت محبته وجرى الثناء على عهده .

وكان لفقيدنا ، خارج الجامعة ، نشاط كبير فى المناصب التى اجتذبته إليها : حيث كان عضوا بلجنة الشعر بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ، وعضوا

بلجنة التعريف بالإسلام ومقرراً للجنة القرآن والسنة بالمجلس لأعلى للشئون الإسلامية.

إن رجلا هده حصيلة حياته لجدير بأن يفخر به جيله ، وأن يكون عمله نوراً وهديا للأجيال اللاحقه .

رحم الله الفقيد واسكنه فسيح جناته .

سادتى :

إن مجمعكم الموقر لهو حصن اللغة العربية وهو حصن مفتوح النوافذ والكوى ، لتدخل منها تيارات الفكر والحضارة ، فى تطورها على الزمان . ولذلك نراه ، وهو الحفيظ على تراث قيم تركه الأسلاف ، يأخذ بيد اللغة العربية حتى تطاوع مقتضيات الجديد فى ميادين العلوم والفنون ، دون تفريط فى أصولها التى لا تحمل التغيير أو التبديل .

وإن ما أثمره المجمع ، خلال ما مضى من السنوات على ميلاده ، مما تزخر به مطبوعاته المنشورة ، لخير دليل على العمل الجاد المتزن ، الذى يوفق بين ما ينبغى الحسوء فى الإبقاء عليه ، وبين ما يمكن تجديده أو استحداثه سدا لحاجات تلك الميادين .

وليس ثمة من شك فى أن ما أقره المجمع من مصطلحات فى المتنوع من العلوم لكفيل بأن ييسر على الباحث كتابة المادة العلمية فى أسلوب لغوى علمى . ومن المعروف أن الأسلوب اللغوى العلمى فى أية لغة يتسم بالسلامة لغويا ؛ وبالبساطة والوضوح والدقة تعبيراً

ويجدر فى هذا المقام توكيد العرفان بجهود الأوائل من المشتغلين بعدد من العلوم منذ أواخر القرن الماضى ، فقد وطأوا السبيل لمن جاء بعدهم بما وضعوه من مصطلحات علمية عربية ، وما كتبوه من مؤلفات وبحوث بأسلوب لغوى علمى يتصف بانتقاء اللفظ وجمال العبارة فوق ما ذكرت من الصفات .

وأرجو أن تسمحوا لى بالتنوية بأمور ثلاثة تبدو واضحه فى أيامنا هذه :

أولها : موجة العامية التى تجتاح بعض الميادين وتجد من المروجين لها من يقتضى حسن الظن بهم القول بأنهم لا يدركون مغبة العامية فى استرخاء وثاق من أقوى روابط الأمة العربية .

وثانيها : ضعف غالبية الجيل المعاصر من الشباب فى اللغة العربية وإن الاطلاع على أوراق اجابة الامتحانات فى التعليم العام وفى الدراسه الجامعية ، ليكشف عن أن هذه اللغة قد أصبحت بين أيديهم ربكا

وثالثها : فقدان الأسلوب اللغوى العلمى بعض ما نوهنا به من خصائص ، فى بعض ما ينشر من الكتب العلمية وإن هذا الأمر ليجرى على نقيض ما توجبه سنة التقدم فقد نشر فى النصف الأول من القرن الذى نعيش فيه الكثير من المؤلفات العلمية التى تتميز بأسلوب لغوى رفيع ؛ كما ظهر فيه من مارس الأدب ونظم الشعر من غير أهل اللغة ؛ فجاء بين الأدباء والشعراء أطباء ومهندسون ورجال قانون وهذه ظاهرة أخذت تخبو ، وكان من الواجب أن تزيد توهجا .

هذه أمور خطيرة ، لا يكفى علاجا لها ما يجرى داخل حصن اللغة العربية من بحوث وأعمال تنشر ؛ وإنما يجب أن يكون له فيها قول يملأ الأسماع ، وينبسط على مختلف الميادين ، فرجاله يتمتعون بصواب الرأى والجرأة فيه ، سعيا إلى المصلحة العامة .

وفق الله المجمع فى أداء رسالته الرفيعة النافعة للوطن والأمة العربية كافة

كلمة الأستاذ الدكتور عثمان أمين فى حفل استقباله عضوا بالمجمع

أيها السادة الأجلاء .

١ ـ بابتهاج غامر ، أقف الساعة بينكم ، لأعبر عن عميق شكرى لكم ، لما شرفتمونى به من حسن الظن بى . وإنّى لأعتز أيما اعتزاز بهذه الثقة الغالية ، وأرى فيها علامةً على رضاكم عنى رضىً أعاهدكم على أن أعمل حتى أكون أهلا له ، وأسأل الله أن يعيننى على الوفاء به . وهذا العطف منكم هو الذى يَشُدّ الآن من أزْرى فى أداء تلك المهمة ـ ويالها من مهمةٍ شاقة علىّ ـ أن أتحدث فى دقائق معدودات ، عن مناقب شاعرٍ كان من القِمم الشامخة عندنا ، وأن أجد لذلك كلماتٍ لاتقصرُ عن بلوغ شأوِه ، ولاتهبط عن مكانة هذا المجمع المرموق ، سواءٌ فى حاضره الزاهر أو فى ماضيهِ المجيد .

٢ ـ لقد تفضلتم ، أيها السادة ، فأضفَيْتم علىّ شرفين ، حين اخترتمونى واحداً منكم ، ثم حين جعلتمونى خليفةً لعبقرى مِن عباقرتنا ، رأى العارفون فى رحيله عنا حداداً للغة الشاعرة ، لافى مصر وحدها ، بل حيثما كان للعربية مكان ، ويشهد الله أنى كنت أوثر أن لا أخطو اليوم إلى مجلسكم هذا ، وأن يواصل عزيزُ مصر ، بل عزيز العروبة ، عملَه الجليل بيننا ، يُبَلِّغ رسالةَ الشعر الأصيل إلى جيلنا ، وإلى الأجيال الصاعدة بَعدنا . ولكن الأمر الأليم قد وقع ، ولارادَّ لقضاء الله . وها أنذا أجدنى وجهاً لوجهٍ أمامَ تراثٍ فكرى لغوىٍ زاخر ، تراثِ أصالةٍ فنيةٍ بيانية ، أسهمت فى فنون التعبير الجميلِ الرفيعِ بأوفى نصيب .

٣ ـ أيها السادة الأجلاء : مرةً أخرى أريد أن أشكر لكم قبولكم إياىَ فى صحبتكم : فقد كنتُ أحسَب نفسِى حتى اليوم « عابرَ سبيل » ؛ كما يقول الكندى

«فيلسوف العرب» . فلما أَذِنتم لى أخيرًا بأَن أندرج فى سلك الخالدين ، بدا لى أن الأَخلق بى ، وأنا من العاكفين على الفلسفة ، أن أبحث عن بواعث هذا الاختيار ، حتى أهتدىَ إلى ما لعله كان يخامركم ، حين منحتمونى أصواتَكم . فيقينى أنه لم يكن من قبيل المصادفة أنكم جعلتم للشاعر الرائع ، الذى هَمسَ إلى الضمائرِ بأَنّاتِه » ، وهزّ المشاعر بمسرحياته ، خليفةً لايكاد يُسَمع له صوتٌ خارجَ مدرجاتِ الجامعة أو وراءَ تخصصات الفلسفة . ولست أدعى أنى وقفت على جلية الأَمر من مقاصدكم ، ولكنى سعيت إلى أن « أقرأَ ما بين السطور » ، أو أن أُجاوِز الظاهر البادى إلى الماورد وراءالمستور ، وفقاً لمنهج فى البحثِ ، فَتحَ الله به علىَّ فى الخمسينيات وحاولت الكشفَ عن أبعاده مِن بعدُ ، قانعاً فى ذلك « بالرسم » دون « الحدّ » كما يقول مناطقتنا القدماءُ ، رضىَ الله عنهم أجمعين .

بدا لى بعد التأَمل ، أنكم حين اخترتمونى للتحدث بين يديكم عن شاعر مصر العزيز ، قد أردتم أن تؤكدوا من جديد حقيقة نوّه بها فلاسفة الإسلام من قبلُ ، وهى أن بين الشعر والفلسفة وشائجَ متينةً ، يستطيعُ الكثيرون منا أن يلمحوها إذا اعتمدوا على « نور الخواطر ، لا على مكتوب الدفاتر » . وإذا صدق حدْسى فلن يخيب تقديركم : لأنى سأُحاول أن أتحدث عن عزيز أباظه باللغة التى تناسب الشعرَ والفلسفة جميعاً ، أقصد لغةَ « الناطقية » التى هى فى الإنسان ماهيتهُ وركيزةُ وعيهِ وضميرهِ وتعبيرهِ . وسأُحاول أن أستشِف تلك « الموسيقى الداخلية » التى صاحبت الشاعر طوال حياته ، وكانت مصدرًا حياً لإلهامه .

يقول شاعر فرنسى معاصر : « إن الشعر زهرة مِن أزهار الشرق لاتحيا فى الصُوبات الزُجاجية . فإذا أردنا أن نهتدى إليها لَزِمنا أن نلتمسها عند منبع الشمس » . وفى هذا القول تمهيدٌ لما أردت أن أستهلَّ به كلامى عن عزيز أباظة : فقد نبتت شاعِريتُه من تُربة أرضِنا بعد أن أنضجتها شمسُ بلادنا .

لقد كنتُ أحب أن أتكلم عن ديوانه « أنات حائرة » ، و « إنه لمن مفاخر

مصر الشاعرة » ، كما قال المرحوم على محمود طه . ولكن الوقت المحدد لايشع لذلك ، ولا للكلام عن المعارك القلمية التى خاضها دفاعاً عن العربية الفصحى ، ولاعما أثرى به تلك اللغة المثلى فى المنشور من مسرحياته ودواوينه وملاحمه. ولذلك أكتفى هنا بالإشار إلى بعض قصائد غير منشورة ، كتبها الشاعر فى حينها وطواها . وقد زوّدنى بها صديقى الأستاذ أنور أحمد مشكوراً .

قال رحمه الله ، من قصيدة بعنوان « من وحى النكسة » :

ليس بالمِدْفَع نصرٌ وحدُه
إنما النصر بعزم متحدْ
وقلوب برئت من ضغنها
وتخلّى الخُلفُ عنها واللَّدَد
صدقونى ليس شىءٌ نافعاً
أبد الدهرِ إذا الخُلْق فَسَد

وقال من قصيدة فى رثاء السنهورى :

سادِنُ العدلِ أعَرَضَ العدلُ عنه
ساخراً من يقينه وحَصَاتِه
رأيُه الحرُّ عُدَّ من سيئاته
والإباءُ الوقورُ من سقطاته
ليس حُكماً حكمٌ يَشُقّ من الإرْ
هابِ مهواته إلى شهواته

ومن تأملاته فى شئون الناس قوله :

لا تَلُمْ طاغياً بَغى فأذاقَ الناس ظُلماً وذِلةً فاستكانوا .
واصرفْ اللَّوم للأُلى مَكَّنوه
وبَنَوْهُ فاستحصد البنيانُ
كل شعب أُذيقَ عَسفاً فأغفَى
كان عدلاً عليه هذا الهوانُ

أيها السادة

ليت عزيزاً عاش بيننا ، ليشهد ماشهدنا من تفجر طاقات أمتنا . إذن لَظِفرنا من شاعريته الفياضة بما يملأُ جوانحنَا أملاً وعزائمنَا إقداماً .

وبعدُ فقد آمَن شاعرنُا الراحلُ بما آمَن به المرحوم عباس محمود العقاد من أن الشعر فى صميمه هو التعبير الجميل عن الشعور الصادق ، والشاعر يعمق صلتنا بالوجود ، ويفتح أعيننا على مافى

الكون من جمال . ولبث ينادى بأن الشعر هو أسمى مراتبِ الفنّ الأصيل وفهمَ الشعرَ على أنه لَغةٌ نسيجهُا دمٌ، ونبضٌ وإيمان . وفَهِمَه كذلك على أنه أكرمُ أداةٍ تصل بين جمالِ الحياة الإنسانية وجمالِ الله الذى أبدع خلقه.

إن قضيةَ الشعرِ، أيها السادة ،قضيةٌ جوهرية . وقيمة الشاعر فى أمته قيمة حضارية : إنه يجعل للحياة معنىً ، وينشر فى الأرض حبّاً ، ويمنح الروح سناءً ، ويذود عن كرامة الإنسان . وقد عبّر الشاعرُ صالح جودت عن هذه المعانى أصدقَ تعبيرحين قال فى تأبين الشاعرالراحل:

قيمة الشاعر فى أمته
أنه يفتح أبواب السماء
أنه يجعل للعمر شذىً
أنه يمنح للروح الضياء

أنه بالشعريَهدى قومَه للطريق
الحق والرأى السواء

وإذا كان أفلاطون قد نظر إلىالفلسفة بمعناها الأصيل ، أى بمعنى محبةالحكمة، فجعلها « حارسة للمدينة » ، فالشعر بمعناه الواسع ، أى بمعنى أنه حث للإنسان على فتح أبواب وعيه على الكون ، وتزكيةُ ضميره لاستقبال نفحات السماء ، ينبغى أن يكون له مشاركة دائبة فى هذه الحرسة الروحية . ورسالة الشعر – كرسالة الفلسفة – رسالة جُوَّانّية على الأصالة : أيكون الإنسان إنساناً على الحقيقة أم لا يكون ؟ تلك هى القضية كما جاءت على لسان « هَمْلت » فى مسرحية شكسبير الخالدة .

والسلام عليكم ورحمة الله.

كلمة الأستاذ زكى المهندس فى تأبين المرحوم* :

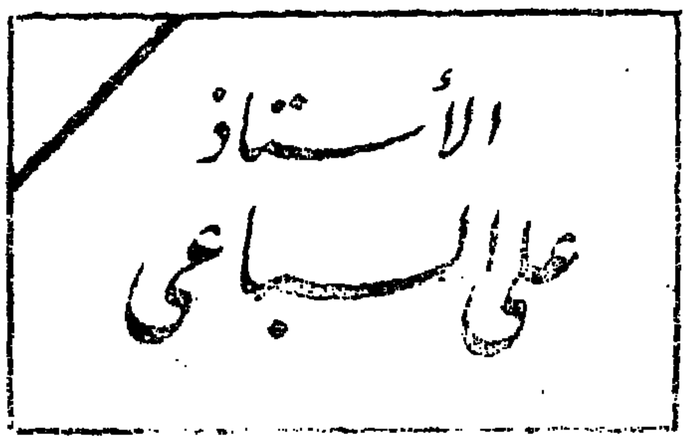

سيداتى ، سادتى ؛

ماأعجب تصاريف الأيام ، وما أقسى أحكام القدر ؛ فمنذ سنتين اثنتين سعد المجمع كل السعادة باختيار الزميل الكريم والعالم الجليل على السباعى عضوا فى المجمع .

فى هذه القاعة نفسها استقبل المجمع زميلنا الراحل بكل سرور وبهجة ، وها نحن اليوم نودعه فى حسرة وأسى .

لقد شاء القدر أن يكون هؤلاء الذين استقبلوه بالأمس هم الذين يودعونه اليوم ، هكذا شأن الحياة : استقبال فوداع ، وتفرق بعد اجتماع وسرور وهناء ، ثم عزاء وبكاء ، تلك هى طبيعة الحياه ، ولقد كان الفقيد قبل وفاته بيوم واحد يجلس بيننا فى لجنة الأصول سليما معافى ، لا يشكو من شىء سوى ألم بسيط يشعر به فى الصعود والهبوط ، بسبب ساقه ، بل لقد كان الفقيد قبل وفاته بساعة أو بنصف ساعة حاضرا فى لجنة المعجم ، وما كاد يغادر المكان حتى أدركه الموت فى طريقه إلى داره .

إن الوفاة الفجائية التى هزت أعصابنا تذكرنا أيضا بوفيات فجائية أخرى : ذهبت بكثير من أعضاء هذا المجمع ، وإنى أذكر بهذه المناسبة : منصور فهمى ، وإبراهيم مصطفى ، والشيخ محمد على النجار ، ومحمد عوض محمد ، ومصطفى القللى ، وعلى الجندى ، رحمهم الله وأسكنهم فسيح جناته ، وها نحن نضيف اليوم إلى هذه القائمة الحزينة وفاة على السباعى .

قد يكون فى هذه الوفيات الفجائية بعض الراحة أو الرحمة بالأموات ، ولكن ماأقساها على قلوب الأحياء . إنها تترك فى نفوس من حولهم أشد الحزن ، وأعمق الأسى .

إن فجيعة لجنة الأصول فى على السباعى فجيعة ألمة قاسية ، فقد فقدت فيه اللجنة ثروة لغوية ضخمة ليس من السهل أن تعوض ، لقد كان رحمه الله عالما حجة ولغويا ثقة ؛ فما من مسألة لغوية أو بحث لغوى عرضت له اللجنة إلا وكان للفقيد فيه جولة تنم على سعة الاطلاع ، وأصالة الرأى ، والإحاطة التامة بأمهات المراجع اللغوية ، ولكن ماحيلتنا فى قضاء الله ؟

---

* أقيم حفل تأبينه بدار المجمع بالجيزة فى صباح الأربعاء ١٩٧٤/٥/٢٢ ، وألقيت فيه الكلمات التالية .

ليس لنا حيال الموت من حيلة سوى الصبر والإيمان . إن الموت هو القانون الطبيعي الذى لايشذ ولا يتخلف ، والحقيقة الكبرى التى لايأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها ، فكل حى إلى فناء ، وكل نفس ذائقة الموت ، وماتدرى نفس ماذا تكسب غدا ، وما تدرى نفس بأى أرض تموت :

إننا أيتها السيدات والسادة نؤمن بهذا كله ، ولكن الذى يحز نفوسنا الموت السريع الذى يتخطف زملاءنا فى وقت نحن أحوج ما نكون فيه إلى علمهم وكفايتهم ونشاطهم .

رحم الله القفيد رحمة واسعة ، وجزاه عما قدم للغة بخير ما يجزى به العاملين المخلصين .

أما الآن أيتها السيدات والسادة فسيتولى تأبين الفقيد نيابة عن المجمع صديق الفقيد الزميل الأستاذ عباس حسن .

ثم يليه الدكتور كمال بشر عميد كلية دارالعلوم فيلقى كلمة الكلية ثم يليهما السيد اللواء الصاوى عيسى شقيق الفقيد فيلقى كلمة الأسرة .

فليتفضل الزميل عباس حسن وشكرا .

كلمة الأستاذ عباس حسن

باسم الله القاهر فوق عباده ، نؤمن به ورواتها ، بالابتذال المهين ، والاتجاه عن يقين لا يشوبه زيغ ، ونستسلم لقضائه فى رضا لايزعزعه ريب ، واطمئنان لاتنال منه أحداث الزمان ، ولا نوازل الليالى .

وأصلى وأسلّم على أنبيائه ورسله ، مصابيح الهداية ، ومنائر العرفان . وأذكر بالتجلة والإكبار أعلاما من أئمتنا الأخيار الأبرار ، وهبوا أنفسهم للدين واللغة ، ووقفوا حياتهم على خدمتهما ، والدفاع عنهما ، فى غير مَلَل ، ولا قصور ، ولاشطط ، ولا جمود .

وأقسموا على هذا وأبروا ، وصدقوا ماعاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ، ومنهم من ينتظر ، وما بدّلوا تبديلا .

ومن هؤلاء الأخيار الأبرار المجمعين الأستاذ : على السباعى الذى نجتمع اليوم لإحياء ذكراه ، بعد أن اجتمعنا منذ شهور قليلة لاستقباله ، والاحتفاء بقدمه ، وانضمامه إلى زمرة : « الخالدين » . فلا حول ولا قوة إلا بالله .

وما عسى أن أقول عنه فى موقفى هذا من صفات التقدير الحق ، وعبارات الثناء النزيه ونحن فى عصر فقدت فيه ألفاظ الثناء خصائصها ، ودلالاتها ، وحسن بهائها الخاطئ ، والكذب البغيض ، والرياء الطاغى ؛ فما أكثر ما نسمع تلك الألفاظ المرددة عن جهالة ، أو مداهنة ، أو زلفى ، أو سوء اصطناع ، من أمثال وصف فلان بأنه العالم الثبت ، الحجة المحقق ، البحاثة المتفقه ،.... أو : أنه العبقرى الفذ ، وحيد زمانه ، وفريد عصره وأوانه ، وما أكثر ما تصك أسماعنا أوصاف كهذه أو أرذل منها فى عبقرىّ آخر من طراز ذلك العالم العلامة الحبر البحر الفهامة . وما أكثر هذه الطرز ، وأوفر الأفذاذ من أمثال أولئك الذين غصّت حناجر الجهلاء والمتزلفين بمدحهم ، وشرقت أفواههم بالحديث المعاد المكرر عنهم ؛ حتى صارت المدائح متعاورة متبادلة كثياب الزينة المستعارة أو المستأجرة ؛ يخلعها هذا ليلبسها ذاك ، ويخب فيها اللاحق محاكاة للسابق . بل صارت تلك المدائح لسامعها أو قارئها ضربا من التعذيب ؛ لا يقوى على احتماله إلا من يطيق احتمال الأذى ورؤية جانيه .

فمن عذيرى اليوم إن سلكت فى تأبين فقيدنا مسالك السالفين ، وترسمت خطاهم وسرت على الدرب ؟

شفيعى إليكم أنكم ستسمعون عن فقيدنا الكبير ماتعلمون أنه الحق البعيد عن جنف الهوى ، وزيغ النفوس :

لقد كان فقيدنا أحد أعلام أربعة فقدهم المجمع فى شهور قليلة وهو أشد ما يكون حاجة إلى الانتفاع بمواهبهم الفـــذة ، وذخائرهم اللغوية النفيسة : فوق ما منحهم الله من خلق قويم : ونبل أسمى . وأعنى بهم الأستاذين الأمجاد : عزيز أباظة ، وعلى الجندى . وعلى السباعى ، وعبد الحكيم الرفاعى . رضى الله عنهم وأرضاهم ، وأكرم مثواهم ؛ وتولى عنا حسن الجزاء وجميل المثوبة : فإنا عن بعض هذا لعاجزون وحسبى الساعة أن أرمز إلى بعض فضلهم وفضائلهم ، بالحديث عن واحد منهم ، وهم معه فى هذا الحديث مقصودون .

عرفت فقيدنا — أول ماعرفت — فى مطلع السنوات الثلاثينية ، ولم تكن تلك المعرفة عن تلاق ومقابلة : وإنما كانت عن سماع باسمه وترديد لمزاياه ممن يعرفونه ، وقراءة لبحوث ومقالات لغوية وأدبية تنشرها له الصحف والمجلات الرصينة ، ولاسيما صحيفة : «دار العلوم» فتشوفت إلى رؤية هذا الباحث ، وتشوقت إلى لقياه ؛ وكنت إذ ذاك فى فجر حياتى التدريسية وحولى من هم أقدم منى بالتدريس ، وأسبق إلى ميدانه بعشر سنوات أو تزيد ، يعرفون من أسرار المهنة ومنازل رجالاتها فى الشئون اللغوية مالا عهد لى به . وكنت أسمعهم فى محاوراتهم وكل مشكلاتهم يرددون اسم مدرس فنى تخرج فى دار العلوم سنة ١٧ اسمه «على السباعى» . رأيتهم يرجعون إليه وينقلون عنه كما يرجعون وينقلون عن المعاجم اللغوية ، والمطولات النحوية والصرفية والعروضية ، يأخذون برأيه ، ويقفون عند فتواه ، والقول ماقال ؛ فتزول به الحيرة ، وينقطع الحوار .

تردد هذا وتكرر حتى استرعى انتباهى وشدنى إلى رؤية هذا الشاب النابه ، والجلوس إليه . وتحقق لى ماأردت ؛ فإذا فتى فارع الطول ملىء الجسم ، وسيم المحيا ، جميل الوجه ، فاره الرجولة ، فى أدب جم ، وحياء محمود ، وحسن حديث ، وحميد إصغاء . ودار الحديث بيننا شهيا طليا فى موضوعات تتصل بعملنا ، وباللغة وفروعها ، فرأيت وسمعت ماأثار عجبى وإعجابى . ثم تكرر اللقاء والحديث والحوار ، فزاد التقدير والإكبار واستخلصت من كل ذلك ظاهرتين أصيلتين ملازمتين لفقيدنا الكريم ، إحداهما : دينية ، والأخرى لغوية .

فأما الدينية فتجلت فى حرصه على إقامة الشعائر الدينية المختلفة فى صورها الحميدة المصفاة جهد طاقته ، فى غير دعاية ولا تظاهر ، ولاجمود ، ولااستهانة ، فى زمن من قال فيه قولا شعر ، ومن خط فيه حرفا غدا أكتب الكتاب . وما أعلم شهد الله — وقد زاملته طويلا — أنه توانى فى أداء تلك الشعائر أو قصر فى إنجازها على خير ما يرجى من أمثاله الطائعين الصادقين .

ربتمسكه بدينه ، وحرصه عليه فى غير تصنع ولا تقصير ــ طهُرت نفسه ، وارتدت الآفات عن أخلاقه : وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم .

وإن كان لى ما أخصه بالذكر فى هذه الناحية فهو استظهاره القرآن الكريم على الوجه الأكمل ، ومداومةُ قراءته قراءة واعية ، موزّعة نجوما وأجزاء على أيام السنة ، لكل يوم جزء معلوم يستعيده ، ويسلمهم فوائده وفرائده الدينية واللغوية والأدبية ؛ يختزنها ليوم تشرئب فيه الأعناق بحثا عن متعين الفتوى ، وفيصل الرأى ويتساءل الباحثون : أين على السباعى ؟

تلك هى ناحيته الدينية فى لمح وإيجاز وأما ناحيته اللغوية فأمرها عجب أى عجب ، فلست أعرف فى المعاصرين من أهل الكفايات اللغوية ــ على وفرة عددهم ، وفيض مزاياهم ، وأصالة مواهبهم ــ من هيأ نفسه أو هيئ له أن يقرأ المعجم اللغوى الأدبى الأكبر المسمى : «لسان العرب» كما قرأه على السباعى فى أجزائه العشرين التى تبلغ صفحات الجزء الواحد منها : أربعمائة ، أو تزيد .

هذه دعوى سمعتها منه فى بيته لمناسبة طارئة ؛ فألمحت اليه فى سرعة وخفّة بما يفيد أن الدعاوى إن لم يقم أصحابها بينات كانوا أدعياء . فأدرك ما أرمى اليه ، ومد يده إلى نسخته الخاصة من : « لسان العرب » واستعرض فى عشرات الصفحات ما يؤيد دعواه ومددت يدى كذلك اعتباطا فوجدت مئات الصحف لا تخلو من أثر يدل على قراءته قراءة واعية نافعة لايتسع المقام لعرض الكثير منها . وحسبى أن أشير إلى نموذج واحد مما شاهدته وقرأته . ففى الجزء الثالث عشر ، مادة : « جدل » يسجل اللسان النص الآتى :

(قد يقال للأجدل أجدلى ، ونظيره أعجم وأعجمى ، أنشد ابن برّى لشاعر : «كأن بنى الدأماء إذ لحقوابنا . . . الخ») وهنا كتب على السباعى : هذا الشاء هو القطامى ... وورد البيت فى قصيدة المدونة فى ص كذا .. ( )

وفى نفس المادة قال لسان العرب ما نصه : (قال الشاعر : قد أركب الآلة بعد الآلة .. وهنا كتب على السباعى : هذا الشاعر هو أبو قردوده .

وفى مادة : « جزل » قال اللسان : «تقسر» فقال على السباعى « الصحيح : تعتسر كما فى المخطوطة الأصلية فى الصفحة التاسعة .

وفى مادة : « حثل » قال اللسان : « ريشه قد تصوعا » . فكتب على السباعى الصواب : تضوعا كما ورد فى مكان آخر من هذا الجزء .

وفى باب : « حجل » قال اللسان البيت من المخلع ، فقال على السباعى هذا البيت لا يصلح مخلعا .

وأمثال هذا كثير ، ما كنت لأصدقه إلا بسلطان مبين ، هو سلطان العين الباصرة ، والأذن الواعية ، والواقع الذى يعلن عن نفسه فى صمت أبلغ من الكلام ، وأقطع فى الفصل من طويل الجدل .

ولقد غمرنى الدهش من هذا العمل المعجز ، والجهد الجاهد الذى لا يقدر عليه إلا أولو العزم من تخيرتهم المقادير لجلائل المهام ، واصطفتهم لعظائم الأمور ؛ حتى لقد كدت أن أنكر ما أرى وأسمع لولا أن منّ الله على بالاطمئنان لما أرى ، وشرح صدرى للإيمان بالواقع الحق والاعتراف لصاحبه بما تفرد به — أو كاد — بين معاصريه .

على أنى لم البث أن وقعت فى جديد من الحيرة والاضطراب ، بل فى مزيد من العجب والإعجاب ؛ فقد تدبرت — بعد أن استرجعت نفسى ، وانتزعتها من الدهش الغامر — ما صنع فقيدنا فى تعليقه على مواد : « لسان العرب » ، وما تغيّاه من ذلك التحقيق ، فاذا أمور ثلاثة سعى إلى تحقيقها مجتمعة وعمل على اقتناصها مكتملة ؛ فتمّ له ما أراد وما أشق الأمر الواحد منها على رجالات عصورنا الحديثة ، إلا من تخيره الله لمثل هذه الجلائل ، ومنحه من الصبر والجلد وصادق الرغبة ما منحه الفقيد الجليل : فأما أولها : فتصحيح ما أخطأ اللسان فى نقله عن المراجع القديمة ، أو فى فهمه ؛ فنرى صاحبنا يصحح ويؤيد التصحيح بذكر المراجع الوثيقة التى تؤيده .

وأما ثانيها : فتكملة الأبيات الناقصة التى يستشهد بها صاحب اللسان — وما أكثر تلك النواقص — فيتمها فقيدنا نقلا عن مصادرها الصحيحة .

وما أجزل النفع بهذا للمشتغلين بفروع العربية المختلفة ؛ متنها ، ونحوها ، وصرفها ، وأدبها . وأما ثالثها : فتصويب ما أخطأ اللسان فى نسبته إلى غير قائله ؛ فيرد للنص مكانته ، وينسبه إلى صاحبه . تلك هى الأمور الثلاثة التى سعى فقيدنا إليها ، وأدرك منها ما أمّل ، وحقق ما ابتغى .

والمشتغلون بالعلوم اللغوية المنقطعون لتحصيلها ، يدركون أتم الإدراك ما فى هذا من عناء ، وما له من جليل الفائدة .

ولست بصدد أن أذكر ما للفقيد من من مشاركة نافعة فى الكتب المدرسية المختلفة ، فشتان بين النوعين ؛ نوع « مدرسى ليس فيه بأوحد ، ونوع آخر لا يقدر عليه إلا من اختارهم الله لإنجازه ، واحتمال مشاقه ، وعرض ثمراته ، وقليل ماهم .

ولقد بلغ من حب الفقيد للغته ، وهيامه بها أن أقام نفسه ، ديدبانا عليها ، يصونها ويرعاها منذ سنواته الأولى بعد التخرج ؛ يدفع الألفاظ الدخيلة ، والأساليب المريضة . وله فى هذا مجالس ومحافل ومقالات يعرفها المترددون على : « نادى دار العلوم » القديم والمرافقون له فى التدريس بالمدارس الثانوية وكليتى « الحقوق ، ودار العلوم » ، والقارئون للمجلات العلمية والأدبية ولا سيما صحيفة

دار العلوم : وبحوثه فى مصر وغيرها ينقلها عنه قراؤه وتلاميذه ومريدوه فى مصر وغيرها ، كالقدس ، والحجاز ، حيث قام بالتدريس فى تلك البلاد الشقيقة العزيزة: وما لنا لا نشيد بمواقفه الغراء فى سنواته التدريسية الأولى حول سنة ٢٠ وماوليها حين كانت بلادنا ترزح فى تلك السنوات تحت أهوال الجهالة الجهلاء والاستعمار الغاشم ، وكلاهماعدو اللغه ، بل أشد أعدائها فتكا وضراوة . فقد شاءالله أن يخرج «على السباعى» من دار العلوم فى العشرة الرابعة من سنوات الاستعمار المتغلغل فى بلادنا ، الحاثم على صدورنا ، العامل جهده على تحطيم مقدساتنا ، ولاسيما اللغة ؛ أقوى الروابط بين البلاد العربية الشقيقه ، وإن بعدت أنحاؤها وترامت أرجاؤها : وزاده بطشا وتمكينا فى تلك الحقبة اشتعال الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤ وما نشرته من أهوال وكوارث ، وما بثه المستعمر فى النفوس من إرهاب وفجائع ، وما نجح فيه منذ بدء احتلاله سنة ١٩٨٢ من نشر لغته فى المدارس ومعاهد التعليم ، وما نجح فيه بدهائه وسلطانه من إعداد أجيال جديدة تألف لغته وتزدرى اغة الآباء والأجداد ، بل تزدرى كل ما هو مصرى ، وتندفع فى محاكاة المستعمر تشبها به وإرضاء له واستجلابا للمنافع الخاصة من وراء ذلك ؛ حتى قويت لغة المستعمر وعز شأنه وشأنها ، وقهرت العربية وضعف شأنها وشأن المشتغلين بها ، وارتفعت الأصوات المخلصة المحذرة من وخيم العواقب المترتبة على هذا الاندفاع الأحمق : والتقليد المدمر وفى هذا يقول الشاعر الكبير «محمد حافظ إبراهيم» ناصحا محذرا كاشفا عن الخطل والخطر .

«لا تحذ حذو عصابة مفتونة ....» الخ

وفى هذا الجو الظالم المظلم : وفى تلك الحقبة الحالكة السواد — انتفض على السباعى واقفا فى ساحة اللغة : مدافعا عنها بلسانه وقلمه : لايمل ، ولايسأم ، ولا يدع للضجر سبيلا إلى نفسه . ونجح فى الدفاع أيما نجاح وأدرك منه ما يخلد فضله : ويسجل جهاده :

وإن الأمانة التاريخية : والصدق فى تسجيل الأحداث : ليقتضيان أن نذكر الفضل لأصحابه جميعا : ولا نغمط أحداً حقه ، هذا ينتهى بنا إلى أن نذكر بالثناء الجم : والتقدير الأوفى : — ونحن فى معرض الذكريات الكريمة — أعلاما سباقين إلى ماسبق إليه على السباعى وشاركوه أو أشركوه فيما وهبوا أنفسهم لانجازه وتحقيقه ، وكانوا سدنة اللغة والدين الأوفياء ، والرعيل الأول فى الحفاظ عليهما ، وصيانتهما مما أريد لهما من شر وفى مقدمة هؤلاء الاساتذة الأجلاء أبو الفتح الفقى — محمود البطراوى — نجيب حتاته — عبد الحميد حسن — محمد على مصطفى — مهدى علام : رحم الله من سبق إلى الدار

الآخرة ، وصان من بقى منهم فى الدار الأولى ، وأجزل لهؤلاء حسن الثواب وجميل الجزاء عما احتملوا من عناء ، واضطهاد ، ومكايد وأهوال ، ومظالم ؛ فلم تَلِنْ لهم قناة ، ولم تخفت لهم أصوات ، واجتازوا المحنة — بل المحن المتوالية — بقلب سليم عامر يحب اللغة والدين ؛ لا تزيده الشدائد إلا ثباتا وإصرارا حتى انجلى بعد الليل الطويل عن صبح مشرق ، صافى الوضاءة والإسعاد ، لا طاقة لأحد على دفعه .

أى على : قد كان ما خفت أن يكون ، مما ليس لأحد طاقة بدفعه ؛ فلا يسعنى إلا الامتثال والخضوع لقضاء الله وقدره ؛ فانعمْ بجوار الله ، ويرضاه عنك ، ودعائنا لك واهنأ بما قدمت يداك من عمل صالح ضمك إلى زمرة الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء ، وأدخلك مداخل الأوابين الأطهار ؛ ينظرون جزاء ما صنعوا يستبشرون برحمة من الله وفضل ، وأن الله لا يضيع أجر المحسنين . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

كلمة الأسرة

للواء الصاوى عيسى شقيق الفقيد

أحمد الله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وبعد

فيتشرف الشقيق الأصغر للراحل الكريم النبيل بأن يتقدم للسادة الأجلاء : رئيس وأعضاء المجمع اللغوى بخالص شكر أسرة الفقيد العزيز لجميل عزائهم وتحطيم أخلاصهم سواء فى تشييع جنازته أو فى العزاء مساء يوم الجنازه ، او بالنعى الكريم الوفى بالصحف أو بالعزاء بالبرقيات أو البريد أو المشاركة فى ذكرى الأربعين أو بالحفل الوفى الأبى : حفل التأبين المقام اليوم ، وندعو لكم جميعا بأتم الصحة وموفور العافيه وطول العمر . وأن يثيبكم الله على جميل وفائكم ، وعلى رقيق مشاعركم بأجمل واكرم الأجر والثواب ، لقد تناول السادة الاساتذه المؤبنين مشكورين بعض الجوانب التى تمس الفقيد سواء من الناحيه الدينيه أو الناحيه العلميه أو الناحيه الخلقيه ، أو مآثره الطيبة فى حياته . ولتأذنوا أن أتناول فى إيجاز بعض مآثر الفقيد بين أهله وأسرته .

لقد كان رضى الله عنه وأرضاه أبر الأبناء بوالديه فى حياتهم وبعد وفاتهم ، ظل بره بهما ذكرى ، ودعاء مستمراً متواصلا ، وكان رحمه الله أخلص الأزواج بالزوجة ، ثم كان أبر الآباء لابنه وبناته أدى رسالته نحوهم على أتم وأحسن ما يكون الاداء وكان رأيه فى تعليم البنت ان يعلمها لا للتوظف وإنما لتكون سكناً أمينا لزوجها — والتكون مربيه لأولادها ، ولكون وافيه فى تصريف شئون مملكتها ، وكان رحمه الله أعطف الإخوه بأخواتهم ، وأنا شخصيا حظيت بهذا العطف : فقد تولانى منذ الصغر علمنى وأدبنى وربانى ، وأنفق على حتى صرت رجلا . وكان رحمه الله فوق ذلك كله أحب الإخوه إلى الأقارب والأصهار . فقد كان دائما أحفظنا جميعا لصلة الرحم ، فلما غاب عنا فقدنا السؤال الدائم عن الصغير وعلى الكبير .

رحمه الله الفقيد رحمه واسعة وأسكنه الفردوس مع الصديقين والأبرار اللهم آمين ، والسلام عليكم ورحمة الله .

الاستاذ زكى المهندس : سيداتى وسادتى باسم المجمع اشكر لحضراتكم كريم مواساتكم على تأبين الفقيد أجمل الله عزائكم وجنبكم كل مكروه ، والسلام عليكم ورحمة الله .

•• كلمة الأستاذ زكى المهندس فى تأبين المرحوم *:

الدكتور
عبد الحكيم الرفاعى

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرات الزملاء ، سيداتى وسادتى .

إنه لتعز علينا أن نجتمع اليوم لتأبين زميل كريم وعالم جليل، هو المغفور له الدكتور عبد الحكيم الرفاعى . لقد وافيه المنية فى السابع عشر من أبريل الماضى بعد مرض طويل مضن ، فتركت وفاته فى نفوسنا أشد الحزن ، وأعمق الأسى .

إن المجمع قد فقد فى عبد الحكيم الرفاعى ثروة علمية اقتصادية ليس من السهل أن تعوض .

لقد كنا نتابع مرضه فى شىء كثير من القلق والخوف والرجاء والأمل .

كان الأمل شفائه يتملكنا أحيانا، كما كان اليأس يستبد بنا أحيانا أخرى .

ولكن بين الأمل واليأس والخوف والرجاء نفذت إرادة الله ، وكان ماخفنا أن يكون هذا قضاء الله ، والذى لاراد لقضائه ولامعقب لحكمه لقد عاصر الفقيد المجمع منذ سنه الأولى خبيرا فى لجنة القانون والاقتصاد ، ثم اختير منذ بضع سنوات عضوا عاملا فى المجمع وفى هذه المدة الطويلة ساهم الفقيد رحمه الله فى تحقيق رسالة المجمع مساهمة مشكورة ، فاستطاع أن يطوع اللغة العربية لتعبر عن مصطلحات علم الاقتصاد ، بل لانبالغ إذا قلنا إن الفقيد قد استطاع أن يلبس علم الاقتصاد ثوبه العربى المتين الأصيل ، ولعل كثيراً من الألفاظ والعبارات العربية الصحيحة التى نسمعها الآن مستعملة فى البنوك والشركات المالية والضرائب والجمارك ، هذه كلها كانت من وضع الفقيد رحمه الله .

وكان الفقيد إلى جانب علمه وذكائه كريما سمحاً التواضع جم عامر القلب بالأخلاص وبالواجب والوفاء لإخوانه وزملائه لقد عرفنا الفقيد أكثر من ربع قرن لم أذكر

* أقيم حفل تأبينه بدار المجمع بالجيزة فى صباح الأربعاء ١٩٧٤/٥/٢٩ والقيت فيه الكلمات التالية :

أنى وجدته يوما غاضبا غضباً يخرجه عن هدوئه وسماحته وإنما كان محبوبا من الجميع محبا للجميع على أننا إذ نبكى الفقيد اليوم ، لانبكى فيه عضواً مجمعاً نشيطاً منتجاً فحسب ، نبكى فيه عالما من أعلام الاقتصاد بل رائد من أعظم رواده لافى مصر وحدها بل فى البلاد العربية جميعها .

لقد ساهم وهو محافظ للبنك الأهلى ثم للبنك المركزى حل كثير من المشكلات الاقتصادية ، التى كانت تعانى منها البلاد ، كما ساهم أيضا فى تطوير كثيرمن النظم الاقتصادية فى البلاد العربية ، يوم انتدب مديراً للشئون الاقتصادية فى جامعة الدول العربية .

أما المكتبة العربية فقد ترك لها الفقيد تراثا علمياً اقتصاديا يبقى على الزمان . إن ماألفه من كتب ومانشره من بحوث ، وماألقاه من محاضرات كلها تعتبر نورا ساطعا يضىء الطريق أمام جميع المشتغلين بالدراسات الاقتصادية .

أيها السادة ،

فى الواقع إن مجال القول فى عبد الحكيم الرفاعى مجال رحب فسيح لانستطيع فى هذه الجلسة القصيرة أن نبلغ مداه ، فحسبنا تلك الدمعة التى نسكبها اليوم فى تكريم ذكراه رحمة الله وطلب ثراه ، وجعل الجنة مستقره ومثواه .

أما الآن أيها السادة ، فسيتولى تأبين الفقيد نيابة عن المجمع الزميل الدكتور أحمد عز الدين عبد الله ، ثم يليه نجل الفقيد الدكتور محمد عبد الحكيم الرفاعى ، فليتفضل الدكتور عز الدين مشكورا ،

كلمة الأستاذ الدكتور أحمد عز الدين عبد الله

السيد الرئيس

سادتى

من الرجال من يسبق جياه فيكون رائداً فى المجتمع الذى يعيش فيه .

ومن الرجال من لا يلهيه عرض الحياة الدنا ، فيملأ نفسه بما ينفع المجتمع الذى يعيش فيه من علم أو أدب أو فن .

ومن الرجال من يكون مكتمل الشخصية فلا ينهرة بريق منصب أو جاه

ومن الرجال من يفهم حقيقة الحياة ، ويفهم قدر الإنسان فيها ، فيكون التواضع طبعه .

ومن الرجال من لاتهزهم أحداث الحياة ، فيكون بين قوله جلداً .

ومن الرجال من يتجرد من الأنانية فيكون بين قومه صمدا .

ومن الرجال من تتجمع لديه كل هذه الصفات ، فيكون بين قومه عزيزاً .

وهكذا كان فقيدنا العزيز العالم الأستاذ الدكتور عبد الحكيم الرفاعى .

بدأت معرفتى بالدكتور الرفاعى فى سنة ١٩٣٠ ، حين كنت أطلب العلم بكلية الحقوق بجامعة القاهرة . وكان قد مضى عام على عودته من باريس ، مع زملائه فى البعثة العلمية ، ليعينوا أعضاء فى هيئة التدريس بهذه الكلية

وسرعان مالمسنا فى هذا الجيل من المدرسين الشبان طابعا معيناً يتميزون به ، أسبغته عليهم الظروف التى عاشوا فيها .

فهم قد عاصروا فى السنوات الأولى من شبابهم ، أحداث ثورة السنة التاسعة عشرة ، فاعتنقوا مبادئها ، شأنهم فى ذلك شأن جيلهم ، حين كان العمل الوطنى فداء يقدمه المواطن ، وخيراً يترقبه الوطن . لم يكن العمل الوطنى حرفة تدر الغنم ، بل تضحية تزين جيد صاحبها بشرف المساهمة فى خدمة وطنه .

وهم قد عاشوا مدة البعثة فى فرنسا ، حين كان يغمرها فيض من الاعتزاز بالوطن واحترام حريات الإنسان والتشبث بالحياة الديمقراطية ، مما زكاه خروجها من الحرب العالمية الأولى منتصرة على العدوان والبغى

وقد جبلت هذه الظروف ، ذلك الجيل من الأساتذة على الوطنية الصادقة ، والعمل الجاد فى أداء الرسالة التى يحملونها ؛ من ، خدمة العلم ، وتنشئة شباب جاد مشبع بالعلم وبثقافة العصر وحضارته .

وكان لنا من أستاذنا الدكتور الرفاعى مجموعة مثل نعجب بها ونسعى إليها : غزارة فى العلم ، أمانة فى أداء الواجب ، رقة فى الحس واحترام للنفس وللغير ، يغلفه ويزينه رداء من أدب جم وتواضع جذاب .

ولد فقيدنا فى قرية « شبرا » من أعمال مركز السنطة بمحافظة الغربية . وبعد أن أتم تعليمه الابتدائى والثانوى بمدارس مدينة طنطا ، وفد على القاهرة ، حيث التحق بمدرسة الحقوق (كلية الحقوق بجامعة القاهرة فيما بعد) ، وحصل منها على درجة الليسانس فى الحقوق ، فى سنة ١٩٢٥ ، وكان التفوق لازمة كل امتحان أداه .

ثم أوفد ، خلال ذلك العام ، فى بعثة علمية إلى فرنسا للحصول على درجة الدكتوراه فى العلوم الاقتصادية . وهناك اتسعت أمامه آفاق العلم والمعرفة . وأبى عليه طموحه أن يقف بجهوده فى هذه الآفاق عند حد الدراسة والبحث اللازمين للحصول على هذه الدرجة العلمية . بل إنه كان فيها نهما : فحصل على دبلومات الدراسات العليا كلها ، التى كانت تنظمها قوانين ولوائح جامعة باريس ، فى ذلك الوقت ، فى ميدان القانون والاقتصاد وهى :

— دبلوم الاقتصاد السياسى
— دبلوم القانون العام
— دبلوم القانون الخاص
— دبلوم القانون الرومانى
— دبلوم القانون الجنائى
— دبلوم علم العقاب

وانتهى به المطاف فى ميدان الدراسة والتحصيل والبحث إلى الحصول على درجة الدكتوراه بأعلى مراتبها . وكان ذلك فى سنة ١٩٢٩ .

وعلى هذا النحو جمع الدكتور الرفاعى رصيداً من الدراسات القانونية ، بجانب تخصصه فى العلوم الاقتصادية ، مقدرا فى هذا الجمع الصلة الوثيقة بين الاقتصاد والقانون فى حياة مجتمع أية دولة ، بل وفى حياة المجتمع البشرى كله

وبجانب ذلك كله ، أفاد الدكتور الرفاعى من ثقافة وحضارة المجتمع الأوروبى الذى عاش فيه ، وتعرف على حال المجتمع الدولى فى مختلف جوانبه السياسية والاقتصادية .

وعاد الدكتور الرفاعى إلى أرض الوطن ، مليئاً بهذه الثروة العلمية والثقافية ، فعين مدرساً فى كلية الحقوق بجامعة القاهرة

وتدرج فى هيئة التدريس بها إلى درجة أستاذ كرسى الاقتصاد السياسى .

وتدفق نتاجه العلمى متواليا على مر السنين ، بحيث يكاد لايمضى عام دون أن يكون له فيه مؤلف يطبع أو بحث ينشر .

وكانت عناصر الصورة التى انطبعت فى نفوس طلابه وزملائه هى : الجد فى العمل ، الحرص على أداء الواجب ، الإخلاص فى خدمة العلم ، العزوف عن الإعلان عن النفس ، تجنب الصغار ، محبته لطلابه ، وتقدير طلابه ومحبتهم له .

وفى سنة ١٩٤٤ ندب الدكتور الرفاعى عميداً لكلية الحقوق بجامعة بغداد ، حيث أحسن أداء الرسالة التى دعى للقيام بها . وعمل على توثيق الصلات العلمية والإنسانية بين أساتذة القانون والاقتصاد فى العراق وزملائهم فى مصر .

وفى سنة١٩٤٧ ندب الدكتور الرفاعى مديراً للشئون الاقتصادية بجامعة الدول العربية ولم يكد يستقر مقامه فيها حتى خطبته وزارة المالية ليكون وكيلا لها لشئون الضرائب وهو المنصب الذى شغله من سنة ١٩٤٧ حتى سنة ١٩٥٢ ، وقد اتسع له به مجال التطبيق لعلم المالية العامة ، ومجال الإصلاح لجهاز من أهم أجهزة الدولة صلة بالمواطنين وتأثيرا فى شئون حياتهم .

ثم انتقل الدكتور الرفاعى إلى ميدان آخر من أوجه النشاط الاقتصادى ، وهو ميدان الائتمان العقارى ، إذ عين فى سنة ٩٥٢ رئيسا لمجلس إدارة بنك الائتمان العقارى ، الذى أدمج فيما بعد فى البنك العقارى المصرى

وفى سنة ١٩٥٥ عين الدكتور الرفاعى نائباً لمحافظ البنك الأهلى ، ثم عين محافظاً له .

ولما أنشئ البنك المركزى بوظائفه الخطيرة ، اختير الدكتور الرفاعى محافظاً له ، لما يتمتع به من علم وخبرة ونزاهة .

وظل يشغل هذا المنصب حتى سنة ١٩٦٤ ، حين وقعت الواقعة التى ماكان لها من دافع . فقد طلب اليه إتخاذ إجراء معين فى مجال النقد . ولما قدر بعلمه ، وخبرته ما لهذا الإجراء من خطر على المصلحة الاقتصادية للبلاد ، أعد مذكرة برأيه فيه . وعاد إلى منزله مرتاح الضمير مطمئن البال .

وفى صباح غده طالعته الصحف بنبأ تعيين شخص آخر فى مكانه ، فعرف أنه عزل من منصبه . وتلقى هذا الجزاء صابراً مؤمنا . ولكنه عرف أيضا أن الله قد ابتلاه فى إخلاصه لعمله ووطنه ولقى عنده خير الجزاء .

ومنذ هذا الحدث والدكتور الرفاعى قانع بعمله أستاذاً غير متفرغ بكلية الحقوق

بجامعة القاهرة ، يحاضر طلاب الدراسات العليا ويشرف على ما يعدونه من رسائل علمية . وهو العمل الذى ظل يباشره بشغف حتى أقعده المرض عنه .

هذا هو موجز الحياة العلمية والعاملة للدكتور الرفاعى .

وأما عن نتاجه العلمى ، فأول ما يذكر فى شأنه أن الدكتور الرفاعى كان من أوائل الأساتذة المصريين الذين حملوا عبء التأليف فى العلوم الاقتصادية والمالية باللغة العربية بأسلوب علمى رصين ، بما يقتضيه من جهد فى وضع مصطلحات عربية تقابل المصطلحات الأجنبية فى معناها فى وضوح وكفاية ودقة دلالة .

ولقد أخرج الدكتور الرفاعى خلال سنتى ١٩٣٦ و ١٩٣٧ مؤلفه فى الاقتصاد السياسى ، ضاما جزءين كبيرين ، عالج فيه مختلف موضوعات هذه المادة فى شمول وعمق وارتقاء علمى جعله يقف جنباً إلى جنب مع ما نشر فى زمانه من مؤلفات لكبار أساتذة الجامعات الأوروبية .

وفى سنة ١٩٤٢ أخرج الدكتور الرفاعى مؤلفه « الضرائب المباشرة فى مصر » ، شرح فيه نظام الضرائب المباشرة الذى فرضه المشرع بقانون سنة ١٩٣٩ ، وذلك فى ضوء مقارنته بالنظم الضريبية المقابلة له فى قوانين عدد من الدول الأجنبية .

ولما كان فقه الضريبة المصرى ، ذلك الحين لا يزال فى مهده ، فقد شارك هذا المؤلف فى إرساء قواعده ، كما أعان القضاة و الباحثين على فهم هذا النظام الضريبى الجديد .

وعند ما كان الدكتور الرفاعى عميداً لكلية الحقوق ببغداد وأستاذاً للاقتصاد السياسى والمالية العامة بها ، أخرج فى سنة ١٩٤٥ مؤلفه « علم المالية العامة والتشريع المالى العراقى » ، بسط فيه مبادئ علم المالية العامة ودرس التشريع المالى العراقى مقارناً بالتشريع المالى المصرى . وجاء هذا المؤلف ، فى نطاق موضوعه ، مكان لقاء بين الفكر المصرى والفكر العراقى .

وبجانب هذه المؤلفات العامة ، نشر الدكتور الرفاعى الكثير من البحوث المتخصصة فى مختلف موضوعات الاقتصادية السياسى والمالية العامة والتشريع الضريبى . كما اتخذ من بعض مسائلها موضوعات لما ألقاه من محاضرات على طلاب الدراسات العليا .

وإذ كان هذا المقام يضيق بالدراسة التحليلية لهذه البحوث والمحاضرات فإنه ينبغى ذكرما تتميز به بصفة عامة ، مع إلقاء نظرة عجلى على أهمها :

جرى الدكتور الرفاعى ، فى بحوثه ومحاضراته ، على تعقب الأحداث والمشاكل الاقتصادية الهامة ، داخل مصر وخارجها

وعرّض كل منها بالشرح والتحليل ، وردّها إلى أصولها ومسبباتها ، ومناقشة وسائل علاجها .

من ذلك أنه عندما اجتاحت العالم أزمة الثلاثينيات ، وتقدمت الحكومات الأوروبية والأمريكية بالمتنوع من الوسائل لحلها ، أدرك الدكتور الرفاعى ما لهذه الحلول من أثر بالغ فى اقتصاد بلده . وهو الاقتصاد الذى كان وثيق الارتباط بالاقتصاد الإنجليزى والاقتصاد الأمريكى . لذلك فقد عكف على دراسة أوجه العلاج التى اتبعت فى الخارج حلا للأزمة . وكان ذلك فى سلسلة مقالات ، أذكر منها :

- الأزمة النقدية الإنجليزية
- تأثير الأزمات النقدية الإنجليزية فى النظام النقدى المصرى .
- تثبيت الأثمان بوساطة السياسة النقدية .
- استعمال الأوراق الأجنبية كضمان للإصدار .
- سياسة رفع الأسعار فى الولايات المتحدة الأمريكية .
- تثبيت الدولار المؤقت وتطور السياسة النقدية فى الولايات المتحدة الأمريكية .
- تخفيض قيمة العملة البلجيكية والتطورات النقدية الحديثة .
- التعويضات وتسويتها فى مؤتمر لوزان المنعقد فى يونية — يولية سنة ١٩٣٢ .
- حماية صناعة السكر فى مصر .

ولما تهيأت الظروف فى مصر كى تبذل دينها العام خلال الحرب العالمية الثانية ، مهد الدكتور الرفاعى لذلك بمقالة فى « تخفيف أعباء الدين العام » .

وعندما فكرت الحكومة فى فرض ضريبة على الأرباح الاستثنائية تناول بالنقد والتعليق أنظمة هذه الضريبة فى الخارج والمشروع الخاص بها فى مصر .

كذلك فإنه كتب بحثه فى ضريبة أرباح المهن غير التجارية عندما فكرت الحكومة فى تعديل نظام هذه الضريبة المنصوص عليه فى قانون سنة ١٩٣٩ .

وعندما توالت المشكلات الاقتصادية فى مصر والخارج ، فى أعقاب الحرب العالمية الثانية ، لم يغب عن الدكتور الرفاعى أن يدرس هذه المشكلات .

من ذلك ماكتبه فى مشكلة الأرصدة الاسترلينية المتجمعة لمصر ، مبينا نشأة هذه الأرصدة وتطورها أثناء الحرب ، ومستقبلها ، مع مناقشة حجج انجلترا فى إنكار هذه الديون والاقتراحات التى قدمت لتسويتها واقترح لمنع تراكم الأرصدة مستقبلا أن يكون للحكومة فى مصر السيطرة التامة على نظام البلاد النقدى ، وأن يصبح البنك الأهلى بنكا مملوكا للدولة .

وفى سنة ١٩٦٠ نشر الدكتور الرفاعى بحثا فى « الاتجاهات الاقتصادية فى الخمسين سنة الأخيرة فى ضوء الدراسات

فى مصر والخارج » . وقد تناول فيه تحليل معالم ذلك التطور الأساسى الذى طرأ على الفكر الاقتصادى حول تدخل الدولة فى الميدان الاقتصادى ، خلال تلك الفترة الحافلة بالأحداث من تاريخ العالم . وهذا البحث لايقدر عليه إلا العالم الخبير المتمكن .

وبجانب هذا النتاج العلمى الوفير القيم ، أسهم الدكتور الرفاعى بجهوده فى معالجة كثير من المشكلات الاقتصادية فى المجال الداخلى وفى المجال الدولى .

— من ذلك مساهمته فى وضع الأسس الفنية والتشريعية لاستقلال الجنيه المصرى عن الجنيه الأسترلينى وتخليصه من التبعية التى عقدتها انجلترا بينهما منذ سنة ١٩١٦ ، خدمة لأغراضها الاستعمارية

— واستعانت الحكومة السورية بالدكتور الرفاعى فى تنظيم فصل النقد السورى من الارتباط بالفرنك الفرنسى .

— وكم من نشاط وجهاد بذلها الدكتور الرفاعى فى المؤتمرات الدولية ، فى سبيل الدفاع عن حقوق بلاده وطلباتها ، جرى ذلك أثناء تمثيل بلاده فى مؤتمر التعويضات الألمانية المنعقد فى سنة ١٩٤٥ ، وفى مؤتمر الصلح المنعقد فى باريس فى سنة ١٩٤٦ ، وفى الجمعية العامة للأمم المتحدة فى دورات انعقادها فى نيويورك فى سنة ١٩٤٦ ، وفى باريس فى سنة ١٩٤٧ ، وكان مندوب مصر فى عدد من لجانها وهى : لجنة الشئون الاقتصادية والمالية ، ولجنة الشئون الاجتماعية والإنسانية والثقافية ، ولجنة الشئون الإدارية والميزانية

كذلك فقد مثل الحكومة المصرية فى كل من مؤتمر لجنة التجارة الدولية المنعقد فى جنيف فى سنة ١٩٤٨ ، ومؤتمر الحراسات الألمانية المنعقد ببروكسل فى سنة ١٩٥٠ .

وامتد نشاط الدكتور الرفاعى إلى ميدان عمل مجمعكم الموقر ، بوصفه خبيراً له أول الأمر ، ثم بوصفه عضواً فيه ، بقدر ما سمحت به البقية من عمره .

هذه هى حياة فقيدنا العزيز

لقد عاش الدكتور الرفاعى مستور الحال ، لأنه لم يتخذ من جمع المال هدفا . ولكنه مات غنياً . فقد توفى عن تركه كبيرة ، متعددة عناصرها :

— ثروة علمية ضخمة ، أفاد منها جيله ، ولايزال ينتفع بها من أتوا بعده .

— خدمات جليلة لوطنه ، لايزال يفيد منها بنو أمته ..

— جيل من الاقتصاديين الذين تلقوا العلم عنه ، يضطلع عدد منهم بأخطر المهام الاقتصادية فى البلاد .

* لقد أرضى الدكتور الرفاعى ضميره وأرضى ربه .

عاش الدكتور الرفاعى حياته متواضعا ، وشاء أن يكون متواضعا بعد موته . فقد أبى إلا أن تشيع جنازته فى القرية التى ولد فيها وأن يدفن فى صعيدها ، بعيداً عن زخرف العاصمة وزينتها .

وكان الدكتور الرفاعى تمما ، لم يأت فى حياته شيئاً نكراً .

رحمه الله ، وأجازه ، وجعل الجنة مثواه .

•• كلمة الأسرة للدكتور محمد عبد الحكيم الرفاعى

سيدى الرئيس :

أساتذتى الأجلاء أعضاء مجمع اللغة العربية :

سيداتى ، سادتى :

اسمحوا لى أولاأن أعبرعن عميق امتنان أسرة الفقيد لفيض اللفتات الكريمة التى أسبغها علينا رئيس المجمع ونائب الرئيس وأعضاء المجمع من عيادتهم للفقيد أثناء مرضه ،إلى تأبينه فى الصحف اليومية ثم المشاركة فى العزاء، ثم إقامة هذا الحفل . ولئن كان كل هذا الفضل يتناسب مع مودتكم لفقيدنا ، ومع سماحة سرائركم ، إلا أنه يحملنى مالا قدرة لى على إيفائه حقه من الشكر .

لقد بلغت كلماتكم العظيمة المفعمة بخلجات الوفاء والتقدير أعمق الأثر فى نفوسنا ، إذ كان المغفور له يعتز كل الاعتزاز برسالة مجمعكم الجليل ، وبدوركم فى الحفاظ على اللغة فى المجالات العلمية والحضارية الحديثة ، وكان رأيه أن استقامة اللغة فى الاستمساك بالاصالة ، وفى الإبقاء على الشرائع ، وجاء سخاؤكم فى الإشادة بمناقب الراحل الكريم ، جديرا بالصدور عن معقل الأصالة فى بلدنا ، وخليقا بعد أجيال من عائله الفقيد بأسباب الفخار. بيدأن عبد الحكيم الرفاعى رحمةالله عليه كان حريصا على غرس التواضع فينا ، اقتداد بكم وبمن سبقكم من الرجالات أعضاء مجمعكم المبجل .

وختاما أتقدم إليكم جميعا وإلى الاستاذ زكى المهندس والأستاذ الدكتور عز الدين عبد الله بأصدق الشكر وعظيم العرفان ، وأسأل الله أن يديم عليكم نعمه الاستمرار فى إعلاءشأن أمتنا ، وأن يجازيكم عنا خير الجزاء ،

•• كلمة الأستاذ على النجدى ناصف فى تأبين فقيد المجمع*

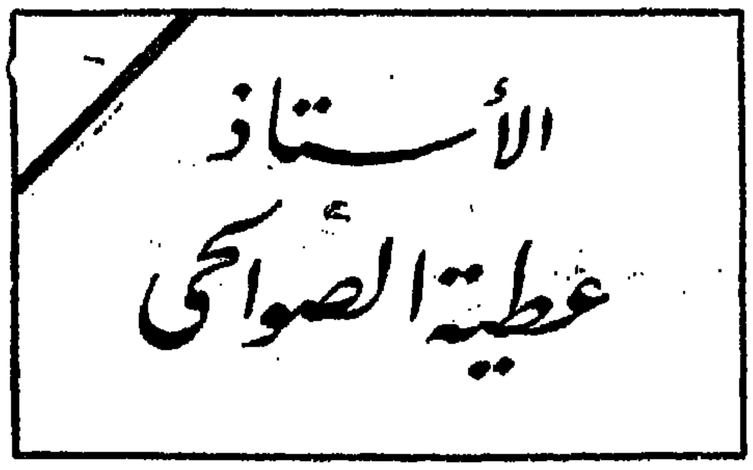

سيادة الرئيس ، أيها السادة

قد كان ماخفت أن يكونـا
إنبـا . إلى الله راجعونـــــا

نعم ، لقد قضي الأمر ، ونفذ المقدور ، فرحل عنا زميلنا وصديقنا العلامة : الأستاذ الضوالحى ، رجع إلى ربه ، ودخل فى عباده راضيا مرضيا ، لم يغن فيه إكذاب نفس ، ولاتعلل بأمل . ولكن متى أفلتت الخديعة أو أغنت الحيلة من الموت شيئا؟

هيهات إنه السهم الإلهي العتيد ، يرسله الله — جلت عظمته — على من حان حينه وحقت الفجيعة فيه ، فيمضى لوجهه مصيبا نافذا ، لايخطئ رميته ، ولايخلف موعدته . ومامنا إلا يعلم ذلك ويؤمن به ، عليه مضيت سنة الأولين ، وعليه تمضى سنة الآخرين لاتبديل ولاتحويل .

ولكنه الضعف البشرى ينتاب المرء ، وقد يستبد به ، ويغير من واقعه حين يمتحن فى عزيز عليه ، ممن تضمهم اليه أواصر وثيقة محكمة ، فاذا هو مضطرب الكيان ، لقس النفس تغشاه غاشية من الهم والاكتئاب ، جزعا مما ألم به ، وعجزا عن احتماله ، واشفافا مما هو صائر اليه ، وملاق منه بعد صاحبه أو صاحبته : من الوحشة بعد الأنس ، والافتراق بعد الاجتماع ، والفقدان بعد الوجدان . وشديد عادة منتزعة ، كما يقولون .

هنالك لايجد معتصما يعوذ به ، ولامهربا يفر إليه ، إلا إكذاب النفس ، والتعلل بالأمل : ويرحم الله أبا الطيب المتنبى اذ يقول فى إحدى مراثيه :

طوى الجزيرة حتى جاءنى نبأ
فزعت فيه بآمالى إلى الكذب

على أن الحق الصادع ، والواقع الذى الذى لانجاء منه مايزالان يتكشفان له ، ويهيبان به ، حتى يثوب اليهما ، ويروض نفسه على تقبلهما ، إيمانا واحتسابا أوسلوا ونسيانا .

والمرء فى استشرافه للكمال ، ونزوعه إليه يرد النفس على مكروهها فى الضراء وحين المحنة فيمنع عاطفته أن تجيش ، ويحبس دمعه أن يفيض ، إيثارا لسمت الرجولة

---

* أقيم حفل تأبينه بدار المجمع بالجيزة فى صباح الأربعاء ١٩٧٤/١١/٦ وألقيت فيه الكلمتان التاليتان .

الموروث، وأداء لضريبتها المفروضة، وأخذا بمنطق التفريق بين الرجال والنساء حين المرزئة، وذهابا مع أبي تمام في قوله .

خلقنا رجالا للتجلد والأسى
وهن الغواني للبكا والتألم

وإذا كان الجزع والاستسلام له مغضبة للرب ، ومجلبة للوم فإن ردع النفس في غير رفق ، وحملها على الكظم بلا رحمة متلفة للنفس في غير حكمة ولارشاد ، إلا الحرص على أوهام، والمتابعة لوراثات ماأنزل الله بها من سلطان .

وبين الانقياد للعاطفة والإنكار عليها رتبة عدل ، ورأى فصل . ولست أعرف كالتعزي ، والارتياض به ، والهوادة فيه مذهبا يهدي إلى الحق والخير ، ففيه سكينة للنفس ، واستجابة للفطرة ، وإقرار بحقها في التأثر والانفعال ومباعدة ، بينها وبين الشطط والاندفاع .

من أجل ذلك كان موقفي الآن بين أيديكم موقف المؤبن لفقيدنا الكريم ، وزميلنا العالم الجليل الشيخ الصوالحي ، من أصعب المواقف مقاما ، وأشدها إيلاما ، وأقساها حزنا وهما ، لأنه الموقف يردني في غير قصد إلى اليوم الذي جاءني نعيه فيه على غير توقع له ، ولاتوجس منه .

فقد كنت عرفت حين احتجب عنا أنه يجد من وعكة حمّ أتت به ، فأخلد إلى الراحة اتقاء تطورها واشتداد وطأتها، فوقر في نفسي أنها بفضل حيويته وقوة يقينه وإحكام علاجه — لاتلبث أن تنفصم عنه فإذا ، هو بحمد الله بارىء موفور وليس أقسى من الخطب حين يقع على المرء في غفلة منه ، وعلى غير ترقب له .

لقد عرفت الفقيد الكريم لأكثر من خمسين عاما خلت وصاحبته فتى جادا طلوبا ، وكهلا متمرسا دءوبا ، وشيخا صادق التجربة، واسع المعرفة، عالما متكمنا، دانت مصاعب العربية له، وأفضت بأسرارها إليه .

ولم تكن صداقتنا هذه من قبيل مايألف الناس أن يعرفوا من الصداقات ، ولكنها كانت من قبيل نادر ، يعز نظيره على تعاقب الأيام . إن الناس يلتقون فيتعارفون ويتآلفون ، أو يتناكرون ويختلفون ، فيكون بين المتآلفين صداقة ومودة ، وبين المتخالفين تناكر وجفوة. وتتصل صداقة الأصدقاء ، أوهم يتمنون لها الاتصال، لكن الأيام قلما تستجيب لهم ، ولاتلبث أن تباعد بينهم مباعدة التشتت والفراق ، أو مباعدة البال المشغول أوالعمل الموصول، لايتيح لصاحبه تفكرا في ماض ، ولانظرا إلى وراء . وتطول المباعدة أوتقصر، فتصير المودة هونا إلى الريث والفتور ، أو الذهاب والاندثار .

والأيام التي هذا دأبها مع الكثير من الصداقات والأصدقاء هي التي أحسنت إلينا، فجعلت توالي صداقتنا بما يذكي جذوتها ، ويجدد عهدها، ويكفل لها البقاء.فلم نكن

نفترق حينا إلا على وعد من الأيام بلقاء جديد. وفى خلال هذه الحقبة الطويلة لم يكن لينقل إلى بلد إلا تبعته إليه ، ولاليتولى عملا إلا شاركته فيه ، على تعدد البلاد التى نقل اليها والأعمال التى وليها :

وكان هو دائما السابق المرتاد، وكنت أنا دائما الآخذ من بعده على الطريق ، حتى التقيناها هنا فى ساحة مجمعنا الجليل، فأنشدنا قول الطرماح :

فألقت عصاها واستقربها النوى
كما قرعينا بالإياب المسافر

التقينا اللقاء الأخير ، وتشاركنا المشاركة التى لاتالية لها ، ولكنه كان لقاء ماأعجله، وتشاركا ماكان أقصره :

وكنا كندماتى جذيمة حقبة
من الدهر حتى قيل : لن يتصدعا
فلما تفرقنا كأنى وملكا
لطول اجتماع لم نبت ليلةمعا

وهكذا الدنيا : اجتماع وافتراق ، كان هذا دأبها فى الدهر القديم ، وسيظل دأبها حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

ولقد كنت أود مخلصا لو كان إلى السبق إلى هذه الرحلة أتقدمه اليها ، وأدع له هو هذا الموقف الذى أقفه منه الآن، وحسبه ماسبق إليه قبل من رحلات، ولكن الله — تعالت حكمته — أبى إلا أن يكون له السبق فى الحياة وفى الممات .

وأشهد ماعرفته هذا العمر الطويل إلا رجلا كامل الرجولة ،شهما أريحيا،رضى الخلق، جم التواضع ، طيب المعشر سليم دواعى الصدر ، مأمون الغيبة راسخ الإيمان ، شديد الخشية لله ، صادقا ، مجاملا ، عف اللسان ، مارأيته قط حاقدا على مسىء ولا ذاكرا لبغيض بسوء ، ولا مضطغنا على ماكر ظنين .

نعم ، كان يغضب بعض الأحيا ن حتى يجهر بالقول، لكنه الغضب الطاهر البرىء، لامكابرة فيه ولاعناد ، ولاعاقبة له من ضغينة أو إصرار على شر ، كان غضب الغيرة على الحقيقة كما يراها ويؤمن بها، فهو ينتصر لها،ويذود عنها فى مقاربةوإنصاف

لقد كان — يرحمه الله — فى شمائله وخصائص نفسه نفحة زكية من نفحات الريف المصرى الطيب ،وبضعة نفيسة من قلبه النقى الطهور ، لهذا كان شديد الحب له، متجدد الحنين إليه ،متمثلا فى القريةالتى أنجبته ، فكان لايزال يختلف إليها ، ويقيم فى أهلها إبان عطلة الصيف ، وكلما دعت داعية ، أوسنحت فرصة مواتية ، حبالهم وبرابهم ، فما كانوا منه و لاكان منهم إلا كما يكون الأبناء من الأب الرحيم أو الإخوة البررة من الأخ الكبير .

وهناك يجتمعون إليه ، ينفضون همومهم بين يديه ، ويراجعونه فيها ، ويسألونه الرأى الذى هو خير ، فإذا لهم منه بركة وهدى ورشاد،وكان منزله بالقاهرة مثابة لهم ، يفدو ن إليه لبعض شأنهم ،أو الاستشفاء من أمراضهم ، فيخلطهم بنفسه كأنهم بعض

أهله ، ويبذل لهم من عونه سخيا جوادا :

فإذا رأيت شقيقه وصديقه
لم تدر أيهما أخو الأرحام ؟

ثم رأى — رحمه الله — أن يكون بره بهم أشمل، وخيره لهم أبقى ، وإن كان فى واقع مايلطفهم به من هذا وذاك كفاية وغناء ، فأقام لهم وحدة صحية ، تطب مرضاهم ، وتخفف من آلامهم ، لايصدر فى ذلك عن ظهر غنى ، أو فضل مال مكنوز ، لكنه الإيثار ، وحب الخير ، والولوع باصطناع المعروف خالصا لوجه الله ، كل أولئك حقيق أن يصنع العجب، وأن يوجب على صاحبه ماليس بواجب، بل لقد يغريه بالتضحية والفداء .

ذلك هو الأستاذ الصوالحى — كما عرفته إنسانا بين الناس ، وصديقا فى الأصدقاء .

أما الأستاذ الصوالحى عالما بين العلماء ، وباحثا بين البحاث — فقد كانت مواهبه ومنازع نفسه تعده للفقاهة والنبوغ ، بل التقدم والتبريز ، إذ كان — رحمه الله — يحيا حياة الزهادة والجد، بل حياة هى أقرب إلى التبتل والانقطاع . لم تكن له مسلاة أن يتفرغ لها ، ويطيب نفسا بها ، سوى كتاب يقرؤه ، أو بحث يبحثه ، أو مسألة يدرسها ، أو مشكلة يعالج حلها .

لذلك لم تكد تتفتح مواهبه ، وتنضج معارفه ، وتتميز شخصيته العلمية حتى كان عنما مذكورا بين أعلام المدرسين الثقات المجدين ، أولئك الذين لم يغفلوا فى عملهم عن معالم البيئة، ومخترعات العصر، ومحدثات الحضارة ، فوصلوا دروسهم بها، ليختاروا منها ما يتيسر لتلاميذهم فهمه ، ولا يشق عليهم القول فيه ، لكن الكثرة الغالبة من أسماء هذه المسميات وما يتصل بها هنا وهناك — تذهب ما بين عامى شائه مسيخ ، ووافد مستعجم دخيل ، فلم يكن بد من أن يقبلوا على المعجمات ينقبون فيها ، وعلى قوانين العربية يستوضحونها ويحتكمون إليها ، فيما هم بسبيله من محاولة فسبقوا إلى قدر عظيم من الأسماء العربية القويمة ، يتبدلونها فى دروسهم بمقابلها من العامى والدخيل .

ولم يلبث فقيدنا — يرحمه الله — أن أصبح أنبه هؤلاء العاملين ذكرا ، وأوسعهم شهرة ، فأينما حل كان بين زملائه المرجع الثقة، العالم الثبت ، يرجعون إليه كلما غمت عليهم مسألة ، أو شبهت عليهم لفظة ، أو خفى عليهم وجه الصواب فى عبارة فيجدون لديه الجواب حاضرا ، أو يكون لهم به وعد غير مكذوب .

وإذا كانت عطلة الصيف ، وأقبل موسم الامتحانات العامة ، وتوافد المدرسون من أطراف البلاد — كان اجتماعهم هذا مثار جدل ومساءلة وخلاف إما فيما يجدى عملهم الحاضر من مشكلات ، وأما فيما كان بينهم فى عامهم هذا من تنازع فى الرأى ، وذهاب ببعض القضايا اللغوية والنحوية مذاهب شتى ، وهنا يكون الأستاذ الصوالحى كما كان هناك فى مدرسته صاحب رأى ، إلا يكن

فصلا ، فما هو بالذى يذهب لغوا ، فليس يعدم فى القليل بينة له فاهضة ، أو علة مسوغة ،أو أن يكون رأيا مفردا ، لكنه غير مجفو ولا مردود .

وعرف القائمون على شئون العربية فضله وقدروه حق قدره ، فكانوا إذا تنازعتهم الأعمال ، وضاقت من حولهم الأوقات — يكلون إليه دراسة بعض ما يعرض لهم من الأساليب المدخولة ، أو الألفاظ المشتبهة فيضطلع بما وكل إليه من ذلك أمينا صادقا، وباحثا رشيدا موفقا .

أستطيع اذا أن أقول غير مكذب ولا مأخوذ بمبالغة: إن الأستاذ الصوالحى كان لغويا معرقا ، ومجمعيا أصيلا — تمرس بمباحث اللغة، وتعاطى من أعمال المجمعيين من قبل أن يكون للعربية مجمع، فكانت حياته فيه امتدادا لحياته قبله . ولقد مضى هنا على العهد به أينما كان غير آل جهدا ولا ضنين بوقت يبحث ويمحص ، ويستنبط ويستخلص ، مشاركة لزملائه فى العمل الموصول والجهد المبذول .

وفى مجلة المجمع ، وبين قرارات اللجان التى اشترك فيها فيض من مباحثه ودراساته: لقد كانت العربية أحب إليه من نفسه ، فلم يبخل عليها بحياته ، إذ كان يعلم أن مرضه عضال ، وأنه منه على خطر ماثل، وكان طبيبه دائم النصح له أن يترفق بنفسه، ويتخفف من عمله ما استطاع ، لكن حب العربية كان أغلب عليه ، وأقوى من إرادته لذلك كان كلما سكت المرض عنه ، وخف وقعه عليه سارع إلى أوراقه وكتبه ، فأكب عليها ، وآتاها من فكره وذات نفسه بغير حساب. ولم يكن يفرح لشىء كفرحه إذ يأذن له الطبيب أن يدع مخدعه ليسعد بلقاء زملائه، ويغاديهم بما عودهم من دراسات

ومن قبل هذا قضى من حياته المباركة خمسين عاما أو تزيد ، يعلم فى مدارس الدولة المتعددة، ويحاضر طلاب دار العلوم، ويشارك فى مناقشة الرسائل الجامعية فيها وفى كلية اللغة العربية، فأخذ عنه فى المدارس طوائف شتى من المتعلمين ، وتخرج عليه أفواج إثر أفواج من المتخصصين فى اللغة العربية ، ثم انبث هؤلاء وأولئك هنا وهناك فى العالم العربى ، أصحاب عمل ، وحملة أمانة ، ومشارق نور ، ومناهل عرفان

وله مع ذلك كله مشاركة فى التأليف والتحقيق ، فله :

(١) رسالة فى لغة أقليم الشرقية ، وتقريبها من اللغة العربية، وقد نشرت مرتين فى كتاب الشرقية .

(٢) الأضواء النحوية والصرفية .

(٣) مذكرات فى التحليل اللغوى .

(٤) تحقيق الجزء السابع من كتاب نثر الدرر ، بتكليف من وزراة الثقافة .

(٥) تحقيق أمالى ابن الحاجب .

أيها الراحل الكريم ، ياصديق العمر ، وياشقيق الروح ؛ لقد أرضيت ربك بما عملت من صالح ، وما قدمت من خير ، وأرضيت عشيرتك بما كنت تلطفهم به من بر ، ومن حنان ، وأرضيت زملاءك بما أبليت معهم فى المشاركة جادا مخلصا ، وما أحسنت فى المعاملة سمحا كريما ، وأرضيت قومك بما أسديت إلى لغتهم من صنيع : تيسيرا لصعب ، وتوضيحا لمبهم ، وحلا لمشكل ، وتداركا لفائت .

فنم فى جوار ربك قرير العين ، هانئ البال ، خالدا مخلدا فى نعيم الله ورضوانه ؛ أحسن الله جزاءك كما أحسنت عملك ، وأفاض عليك من رحمته كفاء ما قدمت من خير ، وأسديت من معروف ، أعلى فى الآخرين مقامك ، وأنزلك منازل الأبرار والصديقين ، وحسن أولئك رفيقا .

•• كلمة الأسرة للدكتور محمد عطيه الصوالحى

السيد الأستاذ الدكتور رئيس مجمع اللغة العربية :

السادة الأساتذة الأعضاء :

سيداتى وسادتى :

تشرفت قبل اليوم بحضور الحفل الذى أقمتموه لاستقبال أبى رحمه الله حين انتخبتموه عضوا فى مجمعكم الموقر ، وأوليتموه شرف الانتساب إليه ، فرأيت كيف يكرم العلم ، ويقدر الفضل ، ولا غرو فإنما يكرم العلماء العلماء ، ويقدر الفضل أولو الفضل .

وأتشرف اليوم بحضور الحفل الذى تقيمونه لتأبينه بعد أن أختاره الله إلى جواره فانتقل إلى مغفرته ورضوانه ، فرأيت مثل مارأيت بالأمس من تكريم وتقدير ، ورأيت إلى ذلك كيف يكون وفاء الزملاء لذكرى الذين ينتقلون منهم إلى رحاب الله .

ولا غرو فى ذلك فأنتم القدوة خلقا وكرما كما أنكم الصفوه علما وفضلا . لقد فقد المجمع أبى عالما مجدا ، وزميلا مخلصا ، وفقدنا نحن فيه أبوة بارة رحيمة وصداقة غالية كريمة ، كان يرحمه الله يغمرنا بالعطف والحنان ، ويتعهدنا بالتفقد والرعاية ويعدنا بالعون والنصح والتوجيه ، كان لنا ملاذا وسندا ، وكان لنا فيضا ومددا ، وكان لنا نورا هاديا ، ورجاء صادقا ، وكان انا قدوة حسنة ، ونعمة سابغة .

وأنى إذ أنوب عن أسرة الفقيد فى شكركم وإكبار فضلكم لأتوجه بالتقدير والعرفان إلى السيد الأستاذ الدكتور رئيس المجمع والسادة الأساتذة الأعضاء والسيد — الأستاذ الجليل على النجدى ناصف الذى أبن الفقيد ، فوفاه من التقدير والإعزاز حقه ، كما أتوجه بالدعاء الخالص إلى الله جلت قدرته أن يحسن عنا جزاءكم ويفيض على فقيدنا وفقيدكم سحائب رحمته ورضوانه إنه سميع مجيب .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،

كلمة وفاء

للمستشرق المجرى الدكتور عبد الكريم جرمانوس
فى ذكرى فقيدى المجمع
الدكتور طه حسين والأستاذ محمود تيمور

أعترف بكلمة الصوفيين : «الحياة حلم، الموت هو يقظته» والمسلمون لا يهابون الموت أو يخافونه. وحتى الذين يشكون فى هذا الرأى فإنهم إذا ما انقطع حبل الحياة عندهم فإنهم (يموتون)، فى حين يقولون عن المؤمن (توفى)، لأنه يذهب إلى ربه.. إلى جنة الله، حيث يأخذ ثواب حياته، ويكسب نتيجة ما قدمه من عمل، كهدف من أهداف الحياة..

فلماذا يبكى وينعى المسلمون أمواتهم بصيحات الألم فى علو صوت وجهارة؟ لماذا لا يطمئنون ويهدأون للمصير، إذا ما ذهب إلى رحاب الله سبحانه وتعالى أخ أو صديق برىء شريف، قدم التضحية غاليا؟ قد لا ينعون المتوفى الى رحمة الله تعالى، لكنهم ينعون فقدانه، ويعبرون بذلك عن آلامهم لهذا الفراق، الذى سببه الموت.

إن أصدقائى العرب حاولوا أن يخففوا عنى الآلام حينما أخفوا عنى لشهور عدة أخبار الجرائد والمجلات المصرية والخطابات أيضا، بل إنهم حاولوا بطريقة أو بأخرى أن يبعدوا عنى هذا الشك الذى أحسست به، وهو أننى لن أرى حياتى مرة أخرى وجه صديقى العزيزين: الدكتور طه حسين ومحمود تيمور.

منذ عشرات السنين.. منذ كنت طالبا فى الجامع الأزهر الشريف، الذى تجاوز عمره الألف عام؛ حتى أصبحت أحد شيوخه، ثم أستاذا فى جامعته. منذ بعيد عرفت محمود تيمور ابن العلامة الكبير أحمد تيمور باشا؛ هذه الشخصية التى حبتنى بصداقتها الحارة منذ اللحظة الأولى التى تعرفت فيها عليها. لقد كان محمود تيمور منذ فجر شبابه من أشهر كتاب القصة المصرية، ومن الكتاب المسرحيين؛ وأحد أعمدة الفكر العربى القديم بكل ما تحمله من أصالة. إن كل الكتاب قد أحاطوا بى نتيجة هذا الحب الذى أولانى إياه معلمهم الكبير. إن حلقاته مع رجال الأدب والعلم ما زالت حتى اليوم هى المنهج لرجال العلم والمعرفة والتاريخ فى مصر.

لقد نشأ محمود تيمور فى رحاب مدارس الكبار من أمثال موباسان وتشيكوف وبورجيه. ومع ذلك فقد كان يضع نصب

عينيه دائما مواضيع القرية المصرية والشعب المصرى ، خاصة البسطاء منهم ، حيث ترجم أحاسيسهم فى أمانة وصدق . إننى لاأريد أن أخوض هنا فى تعريف أشكال أدبية إذ أن المحال لايسمح بذلك ، لكن ذكرى الموت لصديق كبير هى التى تدفعنى إلى ذكر ذلك.

فى بداية تعارفنا كتب محمود تيمور مقاله الطويل عام ١٩٦٩ فى العدد الحادى عشر — من المجلد السابع عشر من مجلة (قافلة الزيت) بتاريخ ذى القعدة ١٣٨٩ حيث صدر المقال فى المملكة العربية السعودية ، وقد ظهرت ترجمة مقاله باللغة المجرية فى مجلة (الأفى) فى عدد شهر سبتمبر من عام ١٩٧٠ . . إننى لأختار عدة فقرات من مقاله المذكور حيث تنم كلماته عن الحب والتقدير :

« الحاج عبد الكريم جرمانوس تواصل لقائى معه مرات متتالية ، أصيل كل خميس ، وكأن بيننا رباطاً من الصداقة منذ سنين مضت ، وما كان أمتع حديثه وهو يصف سفرته إلى الجزيرة العربية يتوخى بيت الله الحرام . لقد ركب هناك الجمل متمايلا على إيقاع سيره ، منشدا مما يحفظ من الشعر العربى وهو يهيم فى غيبوبة من النشوة بما للصحراء من رمال شاسعة ، وشمس ساطعة ، وبما يرح فيها من هواء طليق . . وما كان أطيب مقامه بين أهل الوبر ، ومنامه فى الخيام والأخبية ، يستمرئ هناك حياة السذاجة الهانئة .

وهمهات أن يطيب الحديث فى شأن (الدكتور جرمانوس) دون الإشادة بعلمه الهضوم ، ودون التنويه بطعامة المفضل الذى الذى فتن به أى فتنة ، ذلك هو الشواء . تذوق الشواء فى مصر فاستهواه ، وكان إذا طلب الشواء نطلق بالكلمة مطوله مفخمة منغمة ، وهو يمصمص شفتيه .

وإنى لمعترف بأن قصتى التى سميتها (المستعين بالله) ووصفت فيها أحد من شغفوا بالشرق وأهله ، كان استيحاؤها بالجملة من صديقنا عاشق الشرق والعروبة والإسلام . » ... ...

وينهى محمود تيمور حديثه بالعبارة التالية :

« والدكتور جرمانوس يستقبل اليوم الشطر الأخير من عشر التسعين ، وإنه لعمر بورك فيه طولا ، ولكن كسب الرجل وجهده وسعيه فى هذا العمر المبارك أنمى بركة وأوفى .

وإذا كان الدكتور جرمانوس قد أحب الشرق والعروبة والإسلام وأرضى حبه بعقله وقلبه وقلمه أحسن رضاء وأخلصه ، فإن المجامع اللغوية فى مصر وسوريا والعراق قد بادلته هذا الحب الصادق ، واختارته عضوا فيها .

وإن له فى قلوب كثير من الأدباء والمفكرين والمثقفين ممن صحبوه صديقا ، أو سمعوه محدثا ومحاضرا ، أو قرأوا له كاتبا ، مكانة الإعزاز والتكريم ، كإنسان حقيقى » .

هكذا كتب عن محمود تيمور . . هذه الشخصية العبقرية التى أنتجت أكثر من ثلاثين مجلدا، انتشرت فى أماكن متفرقة من العالم بمختلف اللغات حيث تمت ترجمتها إليها.

إننى قد نشرت بعضا من فقرات كتبه فى كتابى (تاريخ الأدب العربى)، لكننى لازلت أعود بذاكرتى إلى الوراء ، وعيناى مليئة بالدموع ، إلى ذكرى مقابلتنا فى القاهرة، ولازلت أتذكر استقباله واحتضانه لى فى بيته قبل عدة شهور قليلة . واليوم بقلب مفجع أحس هذه الخسارة التى منينا بها .

أما الدكتور طه حسين فهو رئيس المجمع اللغوى بمصر العاجز النظر . وهو الجرىء، المحارب من أجل حق الكلمة . وهو أيضا الرجل العظيم الذى وضعت يدى فى يده حينما أبعدوه عن رحاب جامعة الأزهر، لما رأى بعينيه اللذين فقدهما أبعد مما رآه زملاؤه من الرجعيين . لكنه مع كل ذلك لم يتخل أبدا عن جرأته وشجاعته . فهو ككاتب بالصحف اليومية ، وكمؤرخ للأدب شق طريقا فى أدغال الجهل . وحينما أشرفت مصر والحركة الثقافية فيها أن تأخذ طريقها إلى الرف فتصبح مبعثرة مبعدة عن المجالات الأدبية الحيوية ، أنقذ الدكتور طه حسين التقاليد القديمة بأصالتها، ونفث من روحه فى الحياة المصرية، بما أسبغ عليها من التجديد وأبعد عنها التجمد والشلل الذى كان يمكن أن يحيق بالأدب العربى :

لكن مصر لم تنس ابنها الشجاع المقاتل من أجل أدبها ، فأصبح بعد ذلك وزيرا للتربية والتعليم المصرى ، ورفعته إلى مرتبة الباشوية، مع أنه لم يستعمل هذا اللقب طوال حياته، ثم قلدته منصب رئيس المجمع اللغوى المصرى حتى وفاته .

إننى سعيد وفخور بأنى أصبحت صديقاله.

إننى فخور بأننى جلست إلى جانبه فى مقعد المجمع اللغوى المصرى، وبأن سنحت لى الفرصة بأن اشترك معه فى الأبحاث والمناقشات العلمية داخل رحاب المجمع. بل إنه رغم فقدان نور عينيه فقد شرفنى بخطاب خطه بيده لى . نشرت صورة له فى كتابى (تاريخ الأدب العربى) .

إن الدكتور طه حسين قد سمع صوتى الذى أوحى إلىّ به علمه ، وأحس دون أن يرانى عينا بعين بيدى المرتعشة وهى تصافح يده الكريمة ، لكنه لم يرها أبد . إننى كنت أنظر إليه باحترام كبير وشكر عميق ،

وقد علتنى الدهشة وأنا أطالع نظارته السوداء. إن جسده الرقيق الناعم قد اختفى الآن من أمامى . سوف لا أطالع وجهه مرة أخرى ، ولن أسمع بأذنى حديثه العذب وهو يوجه الأدب العربى ومصيره وطريقه .

اكننى على يقين من أن روحه سوف ترافق مصير هذا الأدب ومستقبله .

عزيزىّ : محمود تيمور والدكتور طه حسين ، إنكما ستعيشان داخلى دائما وإلى الأبد .

الحاج عبد الكريم جرمانوس

عضو المجمع المراسل من المجر